



المبحث الثاني
الطريق إلى الخصوصية

الطريق إلى الخصوصية

بعد أن عرضنا ضابطين من ضوابط بلوغ المرء درجة الخصوصية وهما:

- ١- التربية ضرورة للوصول إلى الخصوصية .
 - ٢- تحديد ميدان العمل التي تُفرغ فيه المواهب والطاقات .
- نعرض الأسباب التي تؤهلنا إلى أن تكون لنا خصيصة أو خصوصية عند الله ﷻ، وهي بإجمالى :

١- طلب العون من الله وعدم الاتكال على النفس .

٢- الفطنة .

٣- موهبة خاصة .

٤- العلم النافع .

٥- النُصرة والبذل .

٦- الإدارة القوية .

٧- الخلق الحسن .

٨- جنيئة من عمل صالح .

٩- الإتيقان .

١٠- العمل الدؤوب .

وفي الصفحات التالية تفصيل ذلك .

**أولاً : طلب العون من الله
وعدم الاتكال على النفس**

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ وَقَالَ : « يَا مُعَاذُ ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ » فَقَالَ : « أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدْعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ اللَّهُمَّ أَعْنِي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ »^(١) . وَالْمُرَادُ بِهِ بَعْدَ السَّلَامِ إِجْمَاعًا^(٢) . « كَأَنَّهُ عَقَدَ مَحَبَّةً وَيَبِيعَةَ مَوَدَّةً »^(٣) .

وَفِيهِ : أَنَّ مَنْ أَحَبَّ أَحَدًا يُسْتَحَبُّ لَهُ إِظْهَارُ الْمُحَبَّةِ لَهُ .

دُبُرُ كُلِّ صَلَاةٍ : أَيَّ عَقِبَهَا وَخَلْفَهَا أَوْ فِي آخِرِهَا .

(تَقُولُ اللَّهُمَّ أَعْنِي عَلَى ذِكْرِكَ) : مِنْ طَاعَةِ اللِّسَانِ ، (وَشُكْرِكَ) : مِنْ طَاعَةِ الْجَنَانِ ، (وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ) : مِنْ طَاعَةِ الْأَرْكَانِ^(٤) .

قال ابن القيم - رحمه الله : «أنفع الدعاء طلب العون على مرضاته، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه: تأملت أنفع الدعاء فإذا هو سؤال العون على مرضاته، ثم رأيت في الفاتحة في إياك نعبد وإياك نستعين»^(٥) .

وأجل الناس وأفضلهم : أهل العبادة والاستعانة بالله عليها، فعبادة الله

(١) سنن أبي داود : في الاستغفار ، (١٣٠١) .

(٢) فتح الباري : ١٨ / ٩٦ .

(٣) (٤ ، ٣) عون المعبود : ٤٤٧ / ٣ .

(٤) مدارج السالكين : ٧٨ .

غاية مرادهم ، وطلبهم منه أن يعينهم عليها ويوفقهم للقيام بها^(١).

وقال ابن رجب - رحمه الله تعالى : « العبد محتاج إلى الاستعانة بالله في فعل المأمورات وترك المحظورات، والصبر على المقدورات كلها في الدنيا وعند الموت وبعده من أهوال البرزخ ويوم القيامة، ولا يقدر على الإعانة على ذلك إلا الله - عزّ وجلّ .

فمن حقّق الاستعانة عليه في ذلك كلّ أعانه الله ، ومن ترك الاستعانة بالله واستعان بغيره وكله الله إلى من استعان به، فصار مخذولا وهو كذلك في أمور الدنيا لأنّه عاجز عن الاستقلال بجلب مصالحه ودفع مضارّه، ولا معين له على مصالح دينه ودينه جميعا إلا الله - عزّ وجلّ - فمن أعانه الله فهو المعان ومن خذله الله فهو المخذول^(٢).

وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى : الاستعانة تجمع أصليين: الثقة بالله ، والاعتماد عليه^(٣).

اقتران العبادة والاستعانة في القرآن :

قد اقترنا في القرآن الكريم في مواضع عديدة، منها:

١- قوله سبحانه في الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(٤).

٢- وقوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾.

(١) مدارج السالكين : ٧٨ .

(٢) جامع العلوم والحكم (١٨٢) بتصرف .

(٣) مدارج السالكين (١) / ٨٦ - ٨٧ بتصرف .

(٤) الفاتحة : ٥ .

فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴿١﴾ .

٣- وقول الله تعالى على لسان شعيب: ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ

وَالِيهِ أُنِيبُ ﴾ (١) .

٤- وقوله سبحانه: قُلْ: ﴿ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ

مَتَابٍ ﴾ (٢) .

٥- وقوله- عز من قائل- حكاية عن المؤمنين: ﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ

أُنَبِّئْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (٣) .

٦- وقول الله تعالى: ﴿ وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَبُّ الْمَشْرِقِ

وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ (٤) .

طلب العون من الله في السنة النبوية :

عن عبد الله بن عباس- رضي الله عنهما- قال: كنت خلف رسول الله ﷺ

يوما فقال: «يا غلام، إني أعلمك كلمات: ... وإذا استعنت فاستعن بالله» (١) .

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: ... واستعن

بالله ولا تعجز» (٢) .

(١) هود: ١٢٣ .

(٢) هود: ٨٨ .

(٣) الرعد: ٣٠ .

(٤) الممتحنة: ٤ .

(٥) المزمّل: ٨-٩ .

(٦) الترمذي (٢٥١٦) واللفظ له وقال: هذا حديث حسن صحيح، أحمد (١/ ٢٩٣، ٣٠٣) وقال

الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح (٤/ ٢٦٩-٢٧٠) حديث (٢٧٦٣) .

(٧) مسلم (٢٦٦٤) .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كان النبي ﷺ يدعو: «رب أعني ولا تعن علي»^(١).

وهذه نصيحة من الحسن البصري - رحمه الله تعالى: وقد كتب إلى عمر بن عبد العزيز: «لا تستعن بغير الله فيكلك الله إليه»^(٢).

وكان النبي ﷺ يدعو الله ألا يكله إلى نفسه ومن ذلك :

«اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»^(٣).

ويربي أصحابه على الدعاء أن لا يكلهم الله إلى أنفسهم :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، إِنِّي أَعْهَدُ إِلَيْكَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا أَنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، فَإِنَّكَ إِن تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي تُقَرِّبْنِي مِنَ الشَّرِّ وَتُبَاعِدْنِي مِنَ الْخَيْرِ، وَإِنِّي لَا أَسْتَعِينُ إِلَّا بِرَحْمَتِكَ»^(٤).

وليخش العبد (طالب الخصوصية) آفة الركون إلى نفسه أو عمله أو حاله كما قيل:

(١) أبو داود (١٥١٠)، وابن ماجه (٣٨٣٠)، وأحمد (١/ ٢٢٧)، الحاكم (١/ ٥١٩ - ٥٢٠) وقال: صحيح ووافقه الذهبي، وكذلك قال فيه الترمذي: حسن صحيح. وذكره النووي في أذكاره (٦٠٦).

(٢) جامع العلوم والحكم (١٨٢)

(٣) سنن أبي داود: ما يقول إذا أصبح وإذا أمسى، (٤٤٢٦).

(٤) مسند أحمد: مسند عبد الله بن مسعود، (٣٧٢١).

كيف تكون لك خصوصية عند الله ؟

إن ركنت إلى العلم أنسيناكه .

وإن ركنت إلى الحال سلبناك إياه .

وإن ركنت إلى المعرفة حجبتها عنك .

وإن ركنت إلى قلبك أفسدناه عليك .

فلا يركن العبد إلى شيء سوي الله البتة، ومتي وجد من قلبه ركوناً إلى غيره فليعلم أنه قد أُجِيلَ على مفلس بل معدم ، وأنه قد فُتِحَ له الباب مكرًا فليحذر وُلُوجَه .

فطالب التفرُّد والذي يرمى إلى أن تكون له خصيصة عند الله ﷻ لا بد له من طلب العون منه وعدم الاتكال على النفس ؛ لتحقيق ما يربو إليه .

ثانياً : الفطنة

الفِطْنَةُ بالكسر في اللغة : الحِذْقُ^(١) .

فطن : الفِطْنَةُ كالفهم والفِطْنَةُ ضِدُّ الغَبَاوَةِ^(٢) .

فطن : الفاء والطاء والنون كلمةٌ واحدةٌ تدل على ذكاء وعلم بشيء^(٣) .

واصطلاحاً :

هي قوّة للنفس تشمل الحواسّ الظاهرة والباطنة معدّة لاكتساب العلوم .

وقيل : هي الاستعداد التّام لإدراك العلوم والمعارف بالفكر .

وقال الكفويّ : هي التنبّه للشيء الذي يقصد معرفته^(٤)

وقيل : هي عبارة عن التنبه لشيء قصد تعريضه ، ولذلك فإنه يستعمل في

الأكثر في استنباط الأحاجي والرموز^(٥) .

الفرق بين الذكاء والفطنة :

أن الذكاء تمام الفطنة من قولك : ذكت النار، إذا تم اشتعالها، وسميت

(١) القاموس المحيط : ٣ / ٣٥٤ .

(٢) لسان العرب : ١٣ / ٣٢٣ .

(٣) معجم مقاييس اللغة : ١ / ٤٠٤ .

(٤) التعريفات للجرجاني (١٠٨)، والكليات للكفوي (٦٧) .

(٥) تفسير الرازي : ١ / ٤٨٧ .

٦٠ **كيف تكون لك خصوصية عند الله؟**
الشمس ذكاء لتام نورها، والتذكية تمام الذبح، ففي الذكاء معنى زائد على
الفطنة^(١).

ولقد ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا﴾^(٢) سبعة
أقاويل، منها: الفطنة والذكاء^(٣).

وورد في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾^(٤)، أي:
للمعتبرين العارفين المتعظين، والتوسم: الفطنة^(٥).

وورد في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى﴾^(٦)، أي:
مُتَنَاهِي الْعَقْلِ كَامِلِ الْفِطْنَةِ^(٧).

الفطنة في السنة :

عن جابر بن عبد الله ، فقال : سرت مع رسول الله ﷺ في غزوة ، فقام
يصلي وكانت على بردة^(٨) ، فذهبت أخالف بين أطرافها ، ثم تواتقت عليها لا
تسقط ثم جئت عن يسار رسول الله ﷺ فأخذ بيدي فأدارني حتى أقامني عن
يمينه ، فجاء ابن صخر حتى قام عن يساره فأخذنا بيديه جميعا حتى أقامنا
خلفه ، قال : وجعل رسول الله ﷺ يرمقني^(٩) وأنا لا أشعر ، ثم فطنت به ،

(١) الفروق اللغوية: ٢٤٢ / ١ .

(٢) سبأ : ١٠ .

(٣) النكت والعيون : ٤٠٠ / ٣ .

(٤) الحجر : ٧٥ .

(٥) غريب القرآن للأصفهاني : ٥٢٤ .

(٦) طه : ٥٤ .

(٧) بصائر ذوي التمييز : ١٧٦ / ٦ .

(٨) البُرْدُ والبُرْدَةُ : السُّمْلَةُ المَخْطُطَةُ ، وقيل كساء أسود مُرَبَّع فيه صورٌ .

(٩) رمق : نظر وتأمل وراقب .

كيف تكون لك خصوصية عند الله ؟ ٦١
فأشار إلى أن أترز^(١) بها، فلما فرغ رسول الله ﷺ، قال: «يا جابر» قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «إذا كان واسعاً فخالف بين طرفيه، وإذا كان ضيقاً فاشدده على حقوقك^(٢)»^(٣).

الفطنة من الصفات الفطرية :

الْفِطْنَةُ وَالْفَهْمُ : مَوْهَبَةٌ مِنْ اللَّهِ لَا تَتَعَلَّقُ بِكَبَرِ سِنِّ وَلَا صِغَرِهِ^(٤).

زيادة الفطنة :

الإيمان يزيد الفطنة ؛ لأن أصول اعتقاده مبنية على نبذ كل ما من شأنه تضليل الرأي وطمس البصيرة .

ودليل ذلك :

عن عبد الله بن مسعود^(٥) قال: «الشَّقِي مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ»^(٥).

وعن أبي هريرة^(٦)، عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ : «لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرِ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ»^(٦). في الحديث إشارة إلى استعمال الفطنة^(٧).

(١) الاتزار : لبس الأزار والمراد تغطية النصف الأسفل من الجسم .

(٢) الحقو : الكشح أو الحضر .

(٣) مستدرک الحاکم : ٢ / ٤٤٤ ، رقم (٨٨٨) . صحيح علي شرط مسلم .

(٤) فتح الباري : ١٠ / ٢٢٤ .

(٥) صحيح مسلم : كيفية خلق آدمي في بطن أمه ، (٤٧٨٣) .

(٦) صحيح البخاري : لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ، (٥٦٦٨) .

(٧) فتح الباري : ١٧ / ٣٢١ .

موانع الفطنة :

البطنة تذهب الفطنة :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : اجْتَمَعَ عِنْدَ الْبَيْتِ قُرَشِيَّانِ وَثَقَفِيَّانِ أَوْ ثَقَفِيَّانِ وَقُرَشِيَّانِ كَثِيرَةٌ شَخْمٌ بَطُونُهُمْ ، قَلِيلَةٌ فِقْهُ قُلُوبِهِمْ ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ : أَتَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مَا نَقُولُ ، وَقَالَ الْآخَرُ : يَسْمَعُ إِنْ جَهَرْنَا وَلَا يَسْمَعُ إِنْ أَخْفَيْنَا ، وَقَالَ الْآخَرُ : إِنْ كَانَ يَسْمَعُ إِذَا جَهَرْنَا فَإِنَّهُ يَسْمَعُ إِذَا أَخْفَيْنَا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ ﴾ ^(١) .

قال ابن حجر : « فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْفِطْنَةَ قَلِمًا تَكُونُ مَعَ الْبِطْنَةِ » ^(٢) .

وَقَالَ الْقَاضِي عِيَّاضٌ - رَحِمَهُ اللَّهُ : « هَذَا فِيهِ تَنْبِيهُ عَلَى أَنَّ الْفِطْنَةَ قَلِمًا تَكُونُ مَعَ السَّمَنِ » ^(٣) .

وعن الشافعي ، قال : ما شبعْتُ منذ ستِّ عشرة سنة إلا شبعة اطرحتها ؛ لأنَّ الشبع يُثْقِلُ البدن ، ويُزِيلُ الفطنة ^(٤) .

وعن محمد بن الحسين يقول : قال مظفر : الجوع إذا ساعدته القناعة مزرعة الفكرة وينبوع الحكمة ، وحياة الفطنة ومصباح القلب ^(٥) .

(١) صحيح البخاري : وذلكم ظنكم الذي ظنتم بربكم ، (٤٤٤٣) .

(٢) فتح الباري : ١٣ / ٣٧٦ .

(٣) شرح مسلم علي النووي : ٩ / ١٥٤ .

(٤) جامع العلوم والحكم : ٩ / ٤٧ .

(٥) حلية الأولياء : ٤ / ٤٢٨ .

أبواب الفطنة :

عن محمد بن عبد الملك بن هاشم، قال: قلت لذي النون: كم الأبواب إلى الفطنة؟ قال أربعة أبواب: أولها الخوف، ثم الرجاء، ثم المحبة ثم الشوق، ولها أربعة مفاتيح .

فالفرض مفتاح باب الخوف، والنافلة مفتاح باب الرجاء وحب العبادة والشوق مفتاح باب المحبة، وذكر الله الدائم بالقلب واللسان مفتاح باب الشوق، وهي درجة الولاية، فإذا هممت بارتقاء في هذه الدرجة فتناول مفتاح باب الخوف، فإذا فتحته اتصلت إلى باب الفطنة مفتوحاً لأغلق عليه، فإذا دخلته فما أظنك تطيق ما تري فيه حينئذ يجوز شرفك بالإشراف، ويعلو ملكك ملك الملوك .

واعلم أي أخي، أنه ليس لخوف ينال الفرض، ولكن بالفرض ينال الخوف، ولا بالرجاء تنال النافلة، ولكن ينال الرجاء كما أنه ليس بالأبواب تنال المفاتيح، ولكن بالمفاتيح تنال أبواب .

واعلم أنه من تكامل فيه الفرض فقد تكامل فيه الخوف، ومن جاء بالنافلة فقد جاء بالرجاء، ومن جاء بمحبة العبادة فقد وصل إلى الله، ومن شغل قلبه ولسانه بالذكر قذف الله في قلبه نور الاشتياق إليه، وهذا سر الملكوت فاعلمه واحفظه حتي يكون الله عز وجل هو الذي يناوله من يشاء من عباده^(١) .

وقيل في ابن الجوزي:

أبدت ما يسحر أو يسبي دقت في الفطنة حتي لقد
 حيث يراك الناس كالشهب وصرت في أعلى مقاماتها
 حكمة في الشرق وفي الغرب^(١) وسار ما سيرت من جوهر الـ

ما يشحذ الفطنة :

عن أبي هريرة قال: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يَجْلِسُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَيَسْمَعُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ الْحَدِيثَ فَيُعْجِبُهُ وَلَا يَحْفَظُهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَسْمَعُ مِنْكَ الْحَدِيثَ فَيُعْجِبُنِي وَلَا أَحْفَظُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اسْتَعِنْ بِيَمِينِكَ» وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ لِلْخَطِّ^(٢).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله ﷺ: «قيدوا العلم» قلت: وما تقيده؟ قال: «كتابته»^(٣). وفي رواية: «قيدوا العلم بالكتاب».

ونظر المأمون إلى بعض ولده وهو ينظر في كتاب، فقال: يا بني، ما كتابك هذا؟ قال: بعض ما يشحذ الفطنة، ويؤنس من الوحشة. فقال: الحمد

(١) الواقي بالوفيات: ٢٢ / ٢.

(٢) سنن الترمذي: باب ما جاء في الرخصة في كتابة العلم، (٢٥٩٠) ضعيف الجامع الصغير (٨١٣).

(٣) مستدرک الحاكم علي الصحيحين، (٣٣٣)، قال الألباني في "السلسلة الصحيحة" ٥ / ٤٠: وروي من حديث أنس بن مالك وعبد الله بن عمرو وعبد الله بن العباس.

الله الذي رزقني ذرية يرى بعين عقله أكثر مما يرى بعين وجهه^(١).

نماذج من أهل الفطنة :

١- انظر إلى فطنة أبي بكر الصديق لما علم من تعريض النبي ﷺ بقرب أجله ، فلم يفهم ذلك من الصحابة إلا هو ﷺ ، ولذلك تفرّد بأنه أعلم الصحابة وأفهمهم ﷺ .

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ : خَطَبَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ : « إِنَّ اللَّهَ خَيْرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ » فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ الصُّدَيْقُ ﷺ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : مَا يُبْكِي هَذَا الشَّيْخَ ! إِنْ يَكُنُ اللَّهُ خَيْرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الْعَبْدُ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا^(٢) .

٢- وكانت خصوصية عمر بن الخطاب ﷺ : ما وَقَعَ لَهُ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ الْمَوَافَقَاتِ الَّتِي نَزَلَ الْقُرْآنُ مُطَابِقًا لَهَا : فَعَنْ ابْنِ عُمَرَ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ »^(٣) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنْ الْأُمَمِ مُحَدِّثُونَ ، فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ »^(٤) .

وعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ

(١) ربيع الأبرار : ١ / ٣١٨ .

(٢) صحيح البخاري : الخوخة والممر في المسجد ، (٤٤٦) .

(٣) سنن الترمذي : مناقب عمر بن الخطاب ، (٣٦١٥) . قَالَ أَبُو عِيْسَى : وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ .

(٤) صحيح البخاري : مناقب عمر بن الخطاب ، (٣٤١٣) .

كيف تكون لك خصوصية عند الله؟

يُعْرَضُونَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمْصٌ، مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الشَّدِيدِيَّ، وَمِنْهَا مَا دُونَ ذَلِكَ، وَعُرِضَ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَبْرُهُ»، قَالُوا: فَمَا أَوْلَتْ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِينَ»^(١).

وعن ابنِ عُمَرَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيْتُ بِقَدَحِ لَبَنٍ فَسَرَبْتُ حَتَّى إِنِّي لَأَرَى الرَّيَّ يَخْرُجُ فِي أَظْفَارِي، ثُمَّ أُعْطِيتُ فَضَلِي عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ» قَالُوا: فَمَا أَوْلَتْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الْعِلْمُ»^(٢).

وَالسَّبَبُ فِي تَخْصِيصِ عُمَرَ بِالذِّكْرِ: لِكَثْرَةِ مَا وَقَعَ لَهُ فِي رَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ الْمَوَافَقَاتِ الَّتِي نَزَلَ الْقُرْآنُ مُطَابِقًا لَهَا، وَوَقَعَ لَهُ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ مَوَافَقَاتٌ عِدَّةٌ.

قَالَ ابْنُ عُمَرَ: مَا نَزَلَ بِالنَّاسِ أَمْرٌ قَطُّ فَقَالُوا فِيهِ وَقَالَ فِيهِ عُمَرُ أَوْ قَالَ ابْنُ الْخَطَّابِ فِيهِ - شَكَكَ خَارِجَةٌ - إِلَّا نَزَلَ فِيهِ الْقُرْآنُ عَلَى نَحْوِ مَا قَالَ عُمَرُ.

نزول القرآن موافقاً رأي عمر ﷺ:

قال عمر بن الخطاب ﷺ: وافقت ربي في ثلاث:

١ - فقلت: يا رسول الله، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى فنزلت:

﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾^(٣).

٢ - وآية الحجاب: قلت: يا رسول الله، لو أمرت نساءك أن يحتجبن فإنه

يكلمهن البر والفاجر فنزلت آية الحجاب.

٣ - واجتمع نساء ﷺ في الغيرة عليه فقلت لمن: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ

(١) صحيح البخاري: تفاضل أهل الإيمان في الأعمال، (٢٢).

(٢) صحيح البخاري: فضل العلم، (٨٠).

(٣) البقرة: ١٢٥.

يُبَدِّلُهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِمَّنْ كُنَّ ﴿١﴾ فنزلت هذه الآية^(١).

٤- قال ابن حجر - رحمه الله: (وافقت ربي في ثلاثة): والمعني: وافقني ربي فأنزل القرآن على وفق ما رأيت، لكن لرعاية الأدب أسند الموافقة إلى نفسه، أو أشار به إلى حدوث رأيه وقدم الحكم^(٢).

وفصل السيوطي في بيان موافقات الوحي لكلام عمر فقال: فصل في موافقات عمر رضي الله عنه: قد أوصلها بعضهم إلى أكثر من عشرين:

أخرج ابن مردويه عن مجاهد قال: كان عمر يرى الرأي فينزل به القرآن.

وأخرج ابن عساکر عن عليّ قال: إن في القرآن لرأيا من رأي عمر.

وأخرج الشيخان عن عمر قال: وافقت ربي في ثلاث، قلت: يا رسول الله، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى. وقلت: يا رسول الله يدخل على نسائك البر والفاجر، فلو أمرتهم يمتحنين فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم في الغيرة فقلت: عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن، فنزلت كذلك.

وأخرج مسلم عن عمر قال: وافقت ربي في ثلاثة: في الحجاب، وفي أسارى بدر، وفي مقام إبراهيم، ففي هذا الحديث خصلة رابعة، وفي التهذيب للنووي: نزل القرآن بموافقة في أسرى بدر في الحجاب، وفي مقام إبراهيم، وفي تحريم الخمر، فزاد خصلة خامسة، وحديثها في السنن ومستدرک الحاكم أنه قال: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا، فأنزل الله تحريمها.

(١) التحريم: ٥.

(٢) صحيح البخاري: (ج ٢/ ١٦٣) رقم (٣٨٧).

(٣) فتح الباري: (ج ٢/ ١١٩).

وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن أنس قال: قال عمر: وافقت ربي في أربع: نزلت هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ الآية^(١). فلما نزلت قلت أنا: فَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ، فنزلت: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(٢) فزاد في هذا الحديث خصلة سادسة وللحديث طريق آخر عن ابن عباس أوردته في التفسير المسند.

ثم رأيت في كتاب فضائل الإمامين لأبي عبد الله الشيباني قال: وافق عمر ربه في أحد وعشرين موضعاً فذكر هذه الستة.

وزاد سابقاً: قصة عبد الله بن أبي، قلت: حديثها في الصحيح عنه قال: لما توفي عبد الله بن أبي دعى رسول الله ﷺ للصلاة عليه فقام إليه، فقامت حين وقف في صدره فقلت: يا رسول الله، أو على عدو الله ابن أبي القائل يوم كذا كذا، فوالله ما كان إلا يسيراً حتى نزلت: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا﴾^(٣).

وثامناً: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ﴾^(٤).

وتاسعاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾^(٥)، قلت: هما مع آية المائة خصلة واحدة والثلاثة في الحديث السابق.

وعاشراً: لما أكثر رسول الله ﷺ من الاستغفار لقوم: قال عمر: ﴿سَوْأَ عَلَيْهِمْ أَشْتَقَقَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي

(١) المؤمنون: ١٢.

(٢) المؤمنون: ١٤.

(٣) التوبة: ٨٤.

(٤) البقرة: ٢١٩.

(٥) النساء: ٤٣.

أَلْقَوْمَ الْفَنَسِيقِينَ ﴿١﴾، قلت: أخرجه الطبراني عن ابن عباس.

الحادي عشر: لما استشار ﷺ الصحابة في الخروج إلى بدر أشار عمر

بالخروج فنزلت: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ ﴿٢﴾.

الثاني عشر: لما استشار الصحابة في قصة الإفك، قال عمر: من زوجها

يارسول الله؟ قال: «الله» قال: أفنظن أن ربك دلس عليك فيها ﴿سُبْحٰنَكَ هٰذَا

بِهَتِّنٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿٣﴾ فنزلت كذلك.

الثالث عشر: قصته في الصيام لما جامع زوجته بعد الانتباه وكان ذلك

محرمًا في أول الإسلام فنزل: ﴿أَجَلٌ لَّكُمْ لَيْلَةٌ الصِّيَامِ أَرْفَأُ إِلَىٰ نَسَائِكُمْ﴾ ﴿٤﴾،

قلت: أخرجه أحمد في مسنده.

الرابع عشر: قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ ﴿٥﴾، قلت:

أخرجه ابن جرير وغيره من طرق عديدة وأقربها للموافقة ما أخرجه ابن أبي

حاتم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى: أن يهوديا لقي عمر فقال: إن جبريل الذي

يذكره صأحبكم عدو لنا، فقال له عمر: من كان عدوًّا لله وملائكته ورسله

وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين فنزلت على لسان عمر.

الخامس عشر: قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا

شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ ﴿٦﴾، قلت: أخرج قصتها ابن أبي حاتم وابن مروديه عن أبي

(١) المنافقون: ٦.

(٢) الأنفال: ٥.

(٣) النور: ١٦.

(٤) البقرة: ١٨٧.

(٥) البقرة: ٩٧.

(٦) النساء: ٦٥.

٧٠ **كيف تكون لك خصوصية عند الله؟**

الأسود قال: اختصم رجلان إلى النبي ﷺ فقضى بينهما فقال الذي قضي عليه: ردنا إلى عمر بن الخطاب، فأتيا إليه فقال الرجل: قضي لي رسول الله ﷺ على هذا، فقال: ردنا إلى عمر، فقال: أكذاك؟ قال: نعم، فقال عمر: مكانكما حتى أخرج إليكما فخرج إليهما مشتملاً على سيفه فضرب الذي قال: ردنا إلى عمر، فقتله، وأدبر الآخر فقال: يا رسول الله، قتل عمر والله صاحبي، فقال: «ما كنت أظن أن يجترئ عمر على قتل مؤمن، فأنزل الله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، فأهدر دم الرجل وبرئ عمر من قتله، وله شاهد موصول أورده في التفسير المسند.

السادس عشر: الاستئذان في الدخول، وذلك أنه دخل عليه غلامه وكان نائماً فقال: اللهم حرم الدخول، فنزلت آية الاستئذان.

السابع عشر: قوله في اليهود: إنهم قوم بهت.

الثامن عشر: قوله تعالى: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾^(١)، قلت: أخرج قصتها ابن عساكر في تاريخه عن جابر بن عبد الله، وهي في أسباب النزول.

التاسع عشر: رفع تلاوة «الشيخ والشيخة إذا زنيا» الآية.

العشرون: قوله يوم أحد لما قال أبو سفيان أفي القوم فلان: لا نجيبه، فوافقه رسول الله ﷺ، قلت: أخرج قصته أحمد في مسنده^(٢).

(١) الواقعة: ٣٩-٤٠.

(٢) تاريخ الخلفاء، (١٢٣-١٢٥).

وقد نظمها السيوطي في أبيات شعر فقال:

يا سائلي والحادثات تكثر	عن الذي وافق فيه عمر
وما يرى أنزل في الكتاب	موافقاً الرب به الصواب
خذ ما سألت عنه في أبيات	منظومة تأمن من شتات
ففي المقام وأسارى بدر	وآيتي تظاهرا وستر
وذكر جبريل لأهل الغدر	وآيتي أنزلا في الخمر
وآية الصيام في حل الرفث	وقوله نسؤكم حرث ييث
وقوله لا يؤمنون حتى	يحكموك إذ يقتل أفتى
وآية فيها لبدر أوبه	ولا تصل آية في التوبة
وآية في النور هذا بهتان	وآية فيها بها الاستئذان
وفي ختام آية في المؤمنين	تبارك الله بحفظ الممتقين
وثلة من في صفات السابقين	وفي سواء آية المنافقين
وعددوا من ذلك نسخ الرسم	لآية قد نزلت في الرجم
وقال قولاً هو في التوراة قد	نبهه كعب عليه فسجد
وفي الأذان المذكور للرسول	رأيته في خبر موصول
نظمت ما رأيته منقولا	والحمد لله على ما أولى

عن أبي عمير بن أنس عن عمومة له من الأنصار قال: اهتم النبي ﷺ

للصلاة كيف يجمع الناس لها:

- ف قيل له: انصب راية عند حضور الصلاة فإذا رأوها أذن بعضهم بعضًا فلم يعجبه ذلك.

- قال: فذكروا له القنع شبور اليهود فلم يعجبه ذلك، وقال: «هو من أمر اليهود».

- قال: فذكر له الناقوس فقال: «هو من فعل النصارى».

فانصرف عبد الله بن زيد بن عبد ربه وهو مهتم بهم النبي ﷺ ، فأري الأذان في منامه قال: فغدا على رسول الله ﷺ فأخبره.

فقال: يا رسول الله، إني لبين نائم ويقظان إذ أتاني آت فأراني الأذان، قال: وكان عمر بن الخطاب ﷺ قد رآه قبل ذلك فكتمه عشرين يومًا، قال: ثم أخبر النبي ﷺ فقال له: «ما منعك أن تخبرنا؟» فقال: سبقني عبد الله بن زيد فاستحييت، فقال رسول الله ﷺ: «بلال، قم فانظر ما يأمرك به عبد الله بن زيد فافعله» فأذن بلال^(١).

تفرد عمر ﷺ بهذه الفضائل ، لم يشاركه فيها أحد ، لفطنته وصحة فراسته.

٣- وانظر إلى فطنة عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- لما فطن إلى إعلام الله ﷻ نبيه بأجله :

عن ابن عباس قال: كان عمر بن الخطاب ﷺ يُدني ابن عباس، فقال له عبد الرحمن بن عوف: إن لنا أبناءً مثله، فقال: إنه من حيث تعلم، فسأل عمر

(١) اقتضاء الصراط، ص ١١٦.

ابن عباسٍ عن هذه الآية: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ ^(١) فقال: أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَعْلَمُهُ إِيَّاهُ، قَالَ: مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَعْلَمُ ^(٢).

فانظر إلى معرفته وفطنته ﷺ، ولذلك تفرَّد في التفسير وأصبح إماماً فيه.

وأخذ العلماء من فهم ابن عباس للآية: «جَوَّاز تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ بِمَا يُفْهَمُ مِنَ الْإِشَارَاتِ، وَإِنَّمَا يَتِمَّكَنُّ مِنْ ذَلِكَ مَنْ رَسَخَتْ قَدَمُهُ فِي الْعِلْمِ، وَهَذَا قَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: أَوْ فَهْمًا يُؤْتِيهِ اللَّهُ رَجُلًا فِي الْقُرْآنِ» ^(٣).

٤- وكانت خصوصية خزيمه بن ثابت ^(٤) شهادته شهادته رجُلين لفطنته:

عَنْ عُمَارَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ: أَنَّ عَمَّهُ حَدَّثَهُ وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ابْتِاعَ فَرَسًا مِنْ أَعْرَابِيٍّ وَاسْتَبَعَهُ لِيَقْبِضَ ثَمَنَ فَرَسِهِ، فَأَسْرَعَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَبْطَأَ الْأَعْرَابِيُّ، وَطَفِقَ الرَّجَالُ يَتَعَرَّضُونَ لِلْأَعْرَابِيِّ فَيَسُومُونَهُ بِالْفَرَسِ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ابْتِاعَهُ حَتَّى زَادَ بَعْضُهُمْ فِي السَّوْمِ عَلَى مَا ابْتِاعَهُ بِهِ مِنْهُ، فَتَادَى الْأَعْرَابِيُّ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ مُبْتِاعًا هَذَا الْفَرَسِ، وَإِلَّا بَعْتَهُ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ سَمِعَ نِدَاءَهُ فَقَالَ: «أَلَيْسَ قَدْ ابْتِغْتَهُ مِنْكَ؟» قَالَ: لَا وَاللَّهِ مَا بِغْتُكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قَدْ ابْتِغْتَهُ مِنْكَ»، فَطَفِقَ النَّاسُ يَلُودُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَبِالْأَعْرَابِيِّ وَهُمَا يَتَرَا جَعَانِ، وَطَفِقَ الْأَعْرَابِيُّ يَقُولُ: هَلِمَ شَاهِدًا يَشْهَدُ أَنِّي قَدْ بِغْتُكَ، قَالَ خُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ: أَنَا أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بِغْتَهُ، قَالَ: فَأَقْبَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى خُزَيْمَةَ فَقَالَ: «لِمَ تَشْهَدُ؟» قَالَ: بِتَصْدِيقِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَجَعَلَ

(١) النصر: ١.

(٢) صحيح البخاري:

(٣) فتح الباري: ١٤ / ١٦٢.

(٤) وهو ذو الشهادتين، جعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادة رجلين، وأخبر النبي ﷺ أنه رأى في المنام كأنه سجد على جبهة النبي ﷺ، فاضطجع له النبي ﷺ حتى سجد على جبهته. قال ابن إسحاق: قتل مع علي رضي الله تعالى عنه بصفين بعد قتل عمار بن ياسر.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَهَادَةٌ خُزَيْمَةٌ شَهَادَةٌ رَجُلَيْنِ^(١).

قال ابن القيم : « والنَّبِيُّ ﷺ إِنَّمَا أَمْضَى الْبَيْعَ بِشَهَادَةِ خُزَيْمَةَ وَجَعَلَهَا بِمَنْزِلَةِ شَاهِدَيْنِ، وَهَذَا لِأَنَّ شَهَادَةَ خُزَيْمَةَ عَلَى الْبَيْعِ، وَلَمْ يَرَهُ، إِسْتَنْدَتْ إِلَى أَمْرٍ هُوَ أَقْوَى مِنَ الرُّؤْيَةِ، وَهُوَ تَصْدِيقُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْبَرَاهِينِ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِهِ، وَأَنَّ كُلَّ مَا يُخْبِرُ بِهِ حَقٌّ وَصِدْقٌ قَطْعًا، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْمُسْتَقَرِّ عِنْدَهُ أَنَّهُ الصَّادِقُ فِي خَبَرِهِ الْبَارِ فِي كَلَامِهِ، وَأَنَّهُ يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ غَيْرَ ذَلِكَ الْبَيِّنَةِ، كَانَ هَذَا مِنْ أَقْوَى التَّحْمَلَاتِ، فَجَزَمَ بِأَنَّهُ بَايَعَهُ كَمَا يَجِزُّ لَوْ رَأَاهُ وَسَمِعَهُ، بَلْ هَذِهِ الشَّهَادَةُ مُسْتَنْدَةٌ إِلَى مَخْضِ الْإِيْمَانِ وَهِيَ مِنْ لَوَازِمِهِ وَمُقْتَضَاهُ. وَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَشْهَدَ بِمَا شَهِدَ بِهِ خُزَيْمَةَ، فَلَمَّا تَمَيَّزَتْ عَنْ شَهَادَةِ الرُّؤْيَةِ وَالْحَسِّ، الَّتِي يَشْتَرِكُ فِيهَا الْعَدْلُ وَغَيْرُهُ أَقَامَهَا النَّبِيُّ ﷺ مَقَامَ شَهَادَةِ رَجُلَيْنِ^(٢) ».

من فوائد هذا الحديث :

قال ابن حجر - رحمه الله : « وَفِيهِ فَضِيلَةُ الْفِطْنَةِ فِي الْأُمُورِ، وَأَنَّهَا تَرْفَعُ مَنْزِلَةَ صَاحِبِهَا ؛ لِأَنَّ السَّبَبَ الَّذِي أَبْدَاهُ خُزَيْمَةُ حَاصِلٌ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ يَعْرِفُهُ غَيْرُهُ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَإِنَّمَا هُوَ لَمَّا اخْتَصَّ بِتَقْطِينِهِ لِمَا غَفَلَ عَنْهُ غَيْرُهُ مَعَ وُضُوحِهِ جُوزِي عَلَى ذَلِكَ بِأَنْ خُصَّ بِفَضِيلَةٍ مَنْ شَهِدَ لَهُ خُزَيْمَةَ أَوْ عَلَيْهِ فَحَسْبُهُ^(٣) ».

٥- وكان إياس بن معاوية بن قرة المزني، أبو وائلة، قاضي البصرة،

وأحد أعاجيب الدهر في الفطنة والذكاء^(٤).

(١) سنن النسائي: التسهيل في ترك الإشهاد على البيع، (٤٥٦٨).

(٢) عون المعبود: ٨ / ١٠٤.

(٣) فتح الباري: ١٣ / ٣١٩.

(٤) الأعلام للزركلي: ٢ / ٣٣.

ومما يُحكى في ذلك عنه :

١- قيل: إنه كان يوماً في موضع فحدث فيه ما أوجب الخوف، وهناك ثلاث نسوة لا يعرفهن.

فقال: هذه حامل، وهذه مرضع، وهذه عذراء.

فقيل له: من أين علمت ذلك ؟ .

قال: إن عند الخوف لا يضع الإنسان يده إلا على أعز ما له الذي يخاف عليه، ورأيت الحامل قد وضعت يدها على جوفها.

والمرضع : وضعت يدها على ثديها.

والعذراء : وضعت يدها على موضع عفتها.

٢- ونظر يوماً وهو بواسط إلى آجرة فقال: تحت هذه الآجرة دابة. فنزعوا الآجرة فإذا تحتها حية مطوقة، فسألوه عن ذلك فقال: إني رأيت ما بين الأجرتين ندياً من بين جميع آجر تلك الرحبة، فعلمت أن تحتها شيئاً يتنفس.

٣- ومر يوماً بمكان فقال: أسمع صوت كلب غريب! فقيل له في ذلك، فقال: عرفته بخضوع صوته وشدة نباح غيره من الكلاب. فكشفوا عن ذلك فوجدوا كلباً مربوطاً والكلاب تنبحه.

٤- وكان يوماً في بركة فأعوزهم السماء، فسمع نباح كلب فقال: هذا على رأس بئر. فاستقروا النباح فوجدوه كما قال، فسألوه عن ذلك فقال: لأنني سمعت صوته كالذي يخرج من بئر.

٥- وتحاكم إليه اثنان، فقال أحدهما: إني نزلت إلى النهر لأستحم ولى قطيفة خضراء جديدة وضعتها على جانب النهر، وجاء هذا وعليه قطيفة حمراء

عتيقة فوضعها ونزل السماء، ولما طلعتنا سبقتني وأخذ القטיפفة الخضراء. فقال: ألكما بيبة؟

فقالا: لا. فأمر بمشط فحضر فمشطهما به، فلما فعله خرج الصوف الأخضر من رأس صاحب القטיפفة الخضراء فأمر له بها.

٦- ونظر يوماً إلى رجل فقال: هذا غريب من واسط فقيه كتاب هرب منه عبد . فقيل له في ذلك، فقال : أما إنه من أهل واسط فإن في ثيابه أثر تراب واسط. وأما إنه غريب فإنه يمشي ويسأل. وأما إنه فقيه كتاب فإنه لا يميل إلا إلى الصغار ولا يأنس إلا بهم ولا يسأل إلا منهم. وأما إنه هرب منه عبد فإنه إذا رأى أسود تلمحه ونظر إليه طويلاً^(١).

٧- عن إبراهيم بن مرزوق البصري؛ قال: كنا عند إياس بن معاوية قبل أن يستقضي، وكنا نكتب عنه الفراسة، كما نكتب عن صاحب الحديث، إذ جاء رجل فجلس على دكان مرتفع بالمربد^(٢) فجعل يترصد الطريق فيينا هو كذلك إذ نزل، فاستقبل رجلاً فنظر في وجهه ثم رجع إلى موضعه، قال: فقال إياس بن معاوية: قولوا في هذا الرجل؛ قالوا: ما تقول فيه؟ رجل طالب حاجة، قال: معلم صبيان، قد أبق له غلام أعور، فإن أردتم أن تستفهموه، فقوموا فسلوه، فقام إليه بعضنا فسأله؛ فقال: كان لي غلام نساج، وقد زاغ منذ اليوم، فقالوا: صف لنا غلامك، وصف لنا موضعك، فقال: أما أنا فأعلم الصبيان بالكلا، وأما غلامي فغلام من صفته كذا وكذا إحدى عينيه ذاهبة، فرجعنا إليه فقلنا: هو كما قلت، ولكن كيف علمت أنه معلم؟ قال: رأيت

(١) الوافي بالوفيات: ٣/ ٣٢٣.

(٢) المربد: الموضع الذي تُحسب فيه الإبل والغنم وبه سُمِّيَ مَرَبْدُ المدينة والبصرة. وهو بكسر الميم وفتح الباء، من رَبَدَ بالمكان إذا أقام فيه. وَرَبَدَهُ إِذَا حَبَسَهُ (النهاية في غريب الأثر: ٢/ ٤٥٥).

جاء فجعل يطلب موضعًا يجلس فيه، فقلت: إنه يطلب عادته في الجلوس، فنظر إلى أرفع شيء يقدر عليه فجلس عليه، فنظرت في قدره فإذا ليس قدره قدر المملوك، فنظرت فيمن اعتاد في جلوسه جلوس المملوك فلم أجدهم إلا المعلمين، فعلمت أنه معلم؛ فقلنا له: كيف علمت أنه أبق له غلام أعور؟ قال رأيت يترصد الطريق والسمارة فيبينها هو كذلك إذ نزل، فاستقبل رجلاً مقبلًا، فعلمت أنه شبهه بغلامه فنظر في وجهه، فلو كان غلامه أعمى لعرفه في ترجمه في مشيته، فعلمت أنه نظر في وجهه إلى عينه، فعلمت أن غلامه أعور قد ذهبت إحدى عينيه^(١).

والذي اختص به إياس وتفرد مع مشاركته لأهل عصره في العلم هو الفهم في الواقع والاستدلال بالأمارات وشواهد الحال.

ثالثا : موهبة خاصة

وهب : في أسماء الله تعالى الوَهَّابُ. الهبة: العَطِيَّة الخالية عن الأغراض والأغراض، والموهبة: العَطِيَّة^(١).

اقتضت حكمة الله ﷻ في خلقه أن يهب كل عبد من عباده موهبة تميزه عن غيره ، وتجعله متفردًا في عصره وبين أقرانه :

* فمنهم من وَهَبَ موهبة الحفظ : وسارت خصيصته التي تفرد بها عن أقرانه، مثل أبي هريرة ؓ الذي كان أَحْفَظُ مَنْ رَوَى الْحَدِيثَ فِي ذَهْرِهِ .

وَذَكَرَ الْإِمَامُ الْحَافِظُ بَقِيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ الْأَنْدَلُسِيِّ فِي مُسْنَدِهِ لِأَبِي هُرَيْرَةَ خَمْسَةَ أَلْفِ حَدِيثٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعَةَ وَسَبْعِينَ حَدِيثًا، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - هَذَا الْقَدْرُ وَلَا مَا يُقَارِبُهُ^(٢).

فتفرد ﷻ بهذه الخصيصة بين إخوانه .

ولندعه يحكي عن نفسه :

قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَسْمَعُ مِنْكَ حَدِيثًا كَثِيرًا أَنْسَأَهُ، قَالَ: «ابْسُطْ رِدَائِكَ»، فَبَسَطْتُهُ، قَالَ: فَعَرَفَ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ: « ضُمَّهُ » فَضَمَمْتُهُ، فَمَا نَسِيتُ شَيْئًا

(١) لسان العرب: ١/ ٨٠٣.

(٢) شرح النووي على مسلم: ٤/ ١.

وقال أيضًا :

كُنْتُ رَجُلًا مَسْكِينًا أَخْدُمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى مِثْلِ بَطْنِي، وَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ، وَكَانَتْ الْأَنْصَارُ يَشْغَلُهُمُ الْقِيَامُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يَبْسُطُ ثَوْبَهُ فَلَنْ يَنْسِيَ شَيْئًا سَمِعَهُ مِنِّي» فَبَسَطْتُ ثَوْبِي حَتَّى قَضَى حَدِيثَهُ ثُمَّ ضَمَمْتُهُ إِلَيَّ، فَمَا نَسِيتُ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْهُ^(٢).

قال ابن بطال :

- فضيلة لأبي هريرة، فَضَّلَهُ ﷺ بها بأن قال له: « ابط رداءك »، ثم قال: «ضمه»، فما نسي شيئًا بعد.

- فَضَّلَ التَّقَلُّلَ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِثَارَ طَلَبِ الْعِلْمِ عَلَى طَلَبِ الْمَالِ.

- وفيه: أنه جائز للإنسان أن يُخْبِرَ عن نفسه بفضله إذا اضطر إلى ذلك؛ لاعتذار من شيء، أو لتبيين ما يلزمه تبيينه إذا لم يقصد بذلك الفخر.

- قال أبو الزناد: فيه حفظ العلم والدعوب عليه، والمواظبة على طلبه^(٣).

فالحفظ موهبة من الله تحتاج إلى تنمية واستثمار وخاصة في العلم النافع.

* ومنهم من كان أصح أهل عصره حسابًا وأسرعهم جوابًا كزيد بن

ثابت:

حيث تفرد في علم الفرائض (المواريث) الذي يحتاج إلى صحة الحساب

(١) صحيح البخاري: حفظ العلم، (١١٦).

(٢) صحيح مسلم: فضائل أبي هريرة، (٤٥٤٧).

(٣) شرح ابن بطال: ٢٠٥ / ١.

٨٠ **كيف تكون لك خصوصية عند الله ؟**
وسرعة الجواب : فكان رأساً بالمدينة في القضاء والفتوي والقراءة
والفرائض، وشهد له الرسول ﷺ بعلم الفرائض :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «... وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ
ثَابِتٍ»^(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: « أفرض أمتي زيد بن
ثابت »^(٢).

وكان ابن عباس - على جلالته وقدره وسعة علمه - يأتيه إلى بيته للأخذ
عنه، ويقول: العلم يؤتى ولا يأتي. وأخذ ابن عباس بركاب زيد، فنهاه زيد،
فقال ابن عباس: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا، فأخذ زيد كفه وقبلها وقال:
هكذا أمرنا أن نفعل بأل بيت نبينا^(٣).

وعَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: غَلَبَ زَيْدُ النَّاسِ عَلَى اثْنَتَيْنِ: الْفَرَائِضِ، وَالْقُرْآنِ^(٤).
وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَقَدْ عَلِمَ الْمُحْفُوظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنَّ
زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ مِنَ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ^(٥).
لَمَّا مَاتَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: مَاتَ حَبْرُ الْأُمَّةِ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ
فِي ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْهُ خَلْفًا^(٦).

قال الهارودي: وفي معنى الحديث أقوال:

أحدها : أنه قاله حثاً للصحب على منافسته والرغبة في تعليمه كرهبته لأنه

(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم : أفرض أمتي زيد بن ثابت ، (٨٠٨١) .

(٢) الأعلام للزركلي : ٥٧ / ٣ .

(٣) تهذيب ابن عساکر : ٤٤٩ / ٥ .

(٤) تهذيب ابن عساکر : ٤٥١ / ٥ .

(٥) أخرجه ابن سعد ٢ / ٣٦٢ .

كان منقطعاً إلى تعلم الفرائض بخلاف غيره .

الثاني : قاله تشریفاً له وإن شاركه غيره فيه، كما قال: « أقرؤكم أبي » .

الثالث : خاطب به جمعاً من الصحب كان زيد أفضهم .

الرابع : أراد به أن زيّداً كان أشدهم عناية وحرصاً عليه .

الخامس : قاله لأنه كان أصحهم حساباً وأسرعهم جواباً، وقد كان الصحب يعترفون له بالتقدم في ذلك ، وناهيك بتلميذه ترجمان القرآن فإنه أخذ عنه^(١) .

فالموهبة التي وهبنا الله إياها ليست للمجد الشخصي ، ولا للثناء اللحظي، ولا لتحصيل المال الفاني، ولكن لرفعة الدين ، ومرضاة رب العالمين .

* وهذا حسان بن ثابت رضي الله عنه شاعر الرسول استعمل موهبته في الانتصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم: فَعَنْ الْبَرَاءِ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ لِحَسَّانَ: « اهْجُؤْهُمْ - أَوْ قَالَ: هَاجِؤْهُمْ - وَجَبْرِيلُ مَعَكَ »^(٢) .

هجاء المشركين أهل الحرب وسبهم جائز ، والانتصار منهم بدمهم وذكر كفرهم وقبيح أفعالهم من أفضل الأعمال عند الله تعالى، ألا ترى قوله صلى الله عليه وسلم لحسان: « اهجهم وجبريل معك » وقوله: « اللهم أيده بروح القدس » وكفى بهذا فضلاً وشفقاً للعمل والعامل به^(٣) .

وكفى بذلك على فضل شعره المتضمن للمنافحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

(١) فيض القدير: ٢٨ / ٢ .

(٢) صحيح البخاري : هجاء المشركين ، (٥٦٨٧) .

(٣) شرح ابن بطال : ٤٠٣ / ١٧ .

٨٢ **كيف تكون لك خصوصية عند الله ؟**
والرد على أعدائه والطاعين عليه.

فأين أنت يا من وهبك الله موهبة الشعر من الدفاع عن رسولك وحيبيك محمد ﷺ؟!، وأين موهبتك من الدفاع عن قضايا الأمة؟!، ولماذا لا تستخدم هذا السلاح ، وهذه المنافحة في رد الطاعين ، وهجاء المجرمين ، أعداء الملة والدين؟!.

رابعاً : العلم النافع

فضل العلم والعلماء:

قرن ﷺ شهادة ملائكته وأولى العلم بشهادته فقال: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾ (١).

وهذه خصوصية عظيمة للعلماء.

قال الأعمش: وأنا أشهد بما شهد الله به ، وأستودع الله هذه الشهادة ، وهي لي عند الله وديعة.

و الآية دليل على فضل العلم وشرف العلماء وفضلهم، فإنه لو كان أحد أشرف من العلماء لقرنهم الله باسمه واسم ملائكته كما قرن اسم العلماء (٢).

وقال ابن القيم-رحمه الله :

استشهد سبحانه بأولى العلم على أجل مشهود عليه وهو توحيديه ، وهذا يدل على فضل العلم وأهله من وجوه :

أحدها: استشهدهم دون غيرهم من البشر .

(١) آل عمران ١٨

(٢) تفسير القرطبي: ٤١ / ٤ .

كيف تكون لك خصوصية عند الله ؟

والثاني: اقتران شهادتهم بشهادته .

والثالث: اقترانها بشهادة ملائكته .

والرابع: أن في ضمن هذا تزكيتهم وتعديلهم، فإن الله لا يستشهد من خلقه إلا العدول .

الخامس: أنه وصفهم بكونهم أولى العلم، وهذا يدل على اختصاصهم به، وأنهم أهله وأصحابه ليس بمستعار لهم .

السادس: أنه سبحانه استشهد بنفسه وهو أجل شاهد، ثم بخيار خلقه وهم ملائكته، والعلماء من عباده، ويكفيهم بهذا فضلاً وشرافاً .

السابع: أنه استشهد بهم على أجل مشهود به وأعظمه وأكبره وهو شهادة أن لا إله إلا الله، والعظيم القدر إنما يستشهد على الأمر العظيم أكابر الخلق وساداتهم .

الثامن: أنه سبحانه جعل شهادتهم حجة على المنكرين، فهم بمنزلة أدلته وآياته وبراهينه الدالة على توحيده .

التاسع: أنه سبحانه أفرد الفعل المتضمن لهذه الشهادة الصادرة منه ومن ملائكته ومنهم، ولم يعطف شهادتهم بفعل آخر غير شهادته وهذا يدل على شدة ارتباط شهادتهم بشهادته، فكأنه سبحانه شهد لنفسه بالتوحيد على ألسنتهم وأنطقهم بهذه الشهادة، فكان هو الشاهد بها لنفسه إقامة وإنطاقاً وتعليماً، وهم الشاهدون بها له إقراراً واعترافاً وتصديقاً وإيماناً .

العاشر: أنه سبحانه جعلهم مؤدين لحقه عند عباده بهذه الشهادة، فإذا أدوها فقد أدوا الحق المشهود به فثبت الحق المشهود به فوجب على الخلق الإقرار به، وكان ذلك غاية سعادتهم في معاشهم ومعادهم، وكل من ناله

الهدى بشهادتهم وأقر بهذا الحق بسبب شهادتهم فلهم من الأجر مثل أجره، وهذا فضل عظيم لا يدري قدره إلا الله، وكذلك كل من شهد بها عن شهادتهم فلهم من الأجر مثل أجره أيضًا^(١).

وقال ابن القيم - رحمه الله : فالإنسان من حيث هو عار عن كل خير من العلم النافع والعمل الصالح، وإنما الله سبحانه هو الذي يكمله بذلك ويعطيه إياه وليس له ذلك من نفسه، بل ليس له من نفسه إلا الجهل المضاد للعلم، والظلم المضاد للعدل، وكل علم وعدل وخير فيه فمن ربه لا من نفسه^(٢).

* وأعلم الأمة : أبو بكر الصديق ثم عمر رضي الله عنهما .

* ومن علماء الصحابة في الحلال والحرام : معاذ بن جبل، وقد أثنى عليه ﷺ، فقال ﷺ في حديث الترمذي : «... وَأَعْلَمُهُم بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ»^(٣).

فتخصيص النبي ﷺ معاذ بن جبل بهذه الفضيلة ووصفه بها ، يشير بقدر زائد فيها على غيره.

وهذه الإشارة من رسول الله ﷺ تعطينا منهجًا في التعامل مع النفوس البشرية لإبراز تفرّد كل نفس بما حبّب الله ﷻ إليها من مواهب وطاقات واستعدادات.

وإبراز هذه المواهب والطاقات والاستعدادات تحتاج إلى المُربي الرباني الحاذق، وإلى المؤسسة الربانية التربوية التي ترعى المواهب والطاقات والاستعدادات وتستثمرها في عمارة الأرض، وإسعاد الخلق .

(١) مفتاح دار السعادة : ١ / ٤٨ .

(٢) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين : ٧٩ .

* وتفرد حذيفة بن اليمان بأنه : صاحب سر رسول الله ﷺ وكان من أعلم

الصحابة بالفتن .

ولندعه يتكلم عن نفسه :

قَالَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانَ : وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ النَّاسَ بِكُلِّ فِتْنَةٍ هِيَ كَائِنَةٌ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ السَّاعَةِ ، وَمَا بِي إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَسْرًا إِلَيَّ فِي ذَلِكَ شَيْئًا لَمْ يُحَدِّثْهُ غَيْرِي ، وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ وَهُوَ يُحَدِّثُ مَجْلِسًا أَنَا فِيهِ عَنِ الْفِتَنِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَعُدُّ الْفِتْنَ ، مِنْهُنَّ : «ثَلَاثٌ لَا يَكْذَنَ يَذَرُنَّ شَيْئًا وَمِنْهُنَّ فِتْنُ كَرِيحِ الصَّيْفِ مِنْهَا صِغَارٌ وَمِنْهَا كِبَارٌ»^(١) .

وَالْمُرَادُ بِالسَّرِّ : مَا أَعْلَمَهُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَحْوَالِ الْمُتَنَافِقِينَ^(٢) .

وعن حذيفة بن اليمان قال : كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٌّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ : « نَعَمْ » قُلْتُ : وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ : « نَعَمْ وَفِيهِ دَخْنٌ » قُلْتُ : وَمَا دَخْنُهُ؟ قَالَ : « قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي ، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنَكِّرُ » قُلْتُ : فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ : « نَعَمْ ، دُعَاءٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا » قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، صِفْهُمْ لَنَا ، قَالَ : « هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِاللِّسَانِ » قُلْتُ : فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ قَالَ : « تَلْزِمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ » قُلْتُ : فَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُمْ جَمَاعَةً وَلَا إِمَامًا؟ قَالَ : « فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعْصَ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ »^(٣) .

(١) صحيح مسلم : باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة ، (١٤ / ٧٠) .

(٢) فتح الباري : ٤٢ / ١١ .

(٣) صحيح البخاري : كيف الأمر إذا لم تكن جماعة ، (٦٥٥٧) .

وفي الحديث حكم وفوائد جليلة :

- حِكْمَةُ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ كَيْفَ أَقَامَ كُلًّا مِنْهُمْ فِيمَا شَاءَ ؛ فَحُبِّبَ إِلَى أَكْثَرِ الصَّحَابَةِ السُّؤَالَ عَنِ وُجُوهِ الْحَيْرِ ؛ لِيَعْلَمُوا بِهَا وَيُبَلِّغُوهَا غَيْرَهُمْ ، وَحُبِّبَ لِحَدِيثَةِ السُّؤَالَ عَنِ السِّرِّ لِيَجْتَنِبَهُ وَيَكُونَ سَبِيًّا فِي دَفْعِهِ عَمَّنْ أَرَادَ اللَّهُ لَهُ النَّجَاةَ .

- وَفِيهِ سَعَةٌ صَدَرَ النَّبِيِّ ﷺ وَمَعْرِفَتُهُ بِوُجُوهِ الْحِكْمِ كُلِّهَا حَتَّى كَانَ يُجِيبُ كُلَّ مَنْ سَأَلَهُ بِمَا يَنَابِسُهُ .

- وَيُؤْخَذُ مِنْهُ أَنَّ كُلَّ مَنْ حُبِّبَ إِلَيْهِ شَيْءٌ فَإِنَّهُ يُفُوقُ فِيهِ غَيْرَهُ ، وَمِنْ ثَمَّ كَانَ حَدِيثَةَ صَاحِبِ السِّرِّ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ غَيْرُهُ حَتَّى خُصَّ بِمَعْرِفَةِ أَسْمَاءِ الْمُتَنَافِقِينَ وَبِكَثِيرٍ مِنَ الْأُمُورِ الْآتِيَةِ .

- وَيُؤْخَذُ مِنْهُ أَنَّ مِنَ أَدَبِ التَّعْلِيمِ أَنْ يَعْلَمَ التَّلْمِيزَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعُلُومِ مَا يَرَاهُ مَائِلًا إِلَيْهِ مِنَ الْعُلُومِ الْمُبَاحَةِ ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ يُسْرِعَ إِلَى تَفْهَمِهِ وَالْقِيَامِ بِهِ^(١) .

فانظر إلى تفرد حذيفة بن اليمان ﷺ بهذه الخصيصة التي لم يشاركه فيها أحد ، وإلى تلك النفس التي استطاعت أن تحتفظ بهذه الأسرار .

* وكان لعلي بن أبي طالب خصيصة القضاء :

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ عُمَرُ ﷺ : «... وَأَقْضَانَا عَلِيٌّ...»^(٢) .

وعن عبد الله بن مسعود قال : «كنا نتحدث أن أقضي أهل المدينة علي بن أبي طالب ﷺ»^(٣) .

(١) فتح الباري : ٢٠ / ٨٩ .

(٢) صحيح البخاري : باب قوله : (مَا نُنَسِّخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنَسِّهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا) ، (٤١٢١) .

(٣) مستدرک الحاكم على الصحيحين : قصة اعتزال محمد بن مسلمة ، (٤٦٤٠) ، قال الحاكم : «هذا حديث صحيح علي شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » .

كيف تكون لك خصوصية عند الله؟

وَوَرَدَ فِي حَدِيثِ مَرْفُوعٍ أَيْضًا عَنْ أَنَسٍ - رَفَعَهُ: « أَقْضَى أُمَّتِي عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ » أَخْرَجَهُ الْبَغَوِيُّ .

وَعَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ قَتَادَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - مُرْسَلًا: « أَزْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ وَأَقْضَاهُمْ عَلِيٌّ » ^(١).

* وكان لعائشة رضي الله عنها تأثيرها في آخر الإسلام: فلها من التفقه في الدين وتبليغه إلى الأمة وانتفاع بنبيها بما أدت إليهم من العلم ما ليس لغيرها. فتفردت رضي الله عنها من بين أمهات المؤمنين ، ومن بين نساء العالمين بالعلم والفقه.

* ومن علماء الصحابة الذين نالوا بركة القرب من الرسول وبركة علمه الحسن بن علي: الذي تحقق على يديه الإصلاح بين فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فكان هذا من حسن فهمه وعلمه :

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمَنْبَرِ وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ إِلَى جَنْبِهِ، وَهُوَ يُقْبَلُ عَلَى النَّاسِ مَرَّةً وَعَلَيْهِ أُخْرَى وَيَقُولُ: « إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ » ^(٢).

وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ: صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَنْبَرَ فَقَالَ: « إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، يُصْلِحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ » ^(٣).

في الحديث :

- مَنَقَبَةٌ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ فَإِنَّهُ تَرَكَ الْمَلِكَ لَا لِقَلَّةٍ وَلَا لِدِلَّةٍ وَلَا لِإِعْلَاءٍ، بَلْ

(١) فتح الباري: ١٢ / ٣٠١ .

(٢) فتح الباري: ٩ / ٢١٠ .

(٣) سنن الترمذي: مناقب الحسن والحسين، (٣٧٠٦).

كيف تكون لك خصوصية عند الله ؟
لِرَغْبَتِهِ فِيهَا عِنْدَ اللَّهِ لِمَا رَأَاهُ مِنْ حَقْنِ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ ، فَرَاعَى أَمْرَ الدِّينِ
وَمُضْلِحَةَ الْأُمَّةِ.

- وَفِيهِ فَضِيلَةُ الإِضْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ وَلَا سِيَّمَا فِي حَقْنِ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ.
- وَفِيهِ جَوَازُ خَلْعِ الخُلَيْفَةِ نَفْسَهُ إِذَا رَأَى فِي ذَلِكَ صَلاَحًا لِلْمُسْلِمِينَ.
- وَفِيهِ أَنَّ السِّيَادَةَ إِنَّمَا يَسْتَحِقُّهَا مَنْ يَتَّبِعُ بِهِ النَّاسَ ، لِكُونِهِ عُلَّقَ السِّيَادَةُ
بِالإِضْلَاحِ^(١).

ومما قاله الحسن: «اتق الله يا معاوية على أمة محمد، لا تفنيهم بالسيف على طلب الدنيا وغرور فانية زائلة، فسلم الحسن الأمر إلى معاوية وصالحه وبايعه على السمع والطاعة على إقامة كتاب الله وسنة نبيه، ثم دخلا الكوفة فأخذ معاوية البيعة لنفسه على أهل العراقيين، فكانت تلك السنة سنة الجماعة لاجتماع الناس واتفاقهم وانقطاع الحرب»^(٢).

فأين واقع الحكام اليوم من هذا الفقه وهذا العلم وهذه الحكمة السديدة؟
فكل منهم - إلا من رحم الله - يريد أن يُفني المصلحين ليقبى هو على كرسي الحكم ، وإن قنبي أغلب الشعب ونجا هو .

وهذه الواقعة تشير إلى أن من المصالح العليا التي يجب أن يحافظ عليها المصلحون دماء المسلمين ولا ينجروا إلى الفهم الخاطيء ، وضغط الواقع ، وحاسة السفهاء ، بل لا بد أن يكونوا علماء حُلَمَاء حُكَمَاء ، ويتذرعوا بالصبر مع العمل المتواصل بجهد وعزم وتصميم ، والله معهم ولن يترهم أعمالهم .

(١) فتح الباري : ٢٠ / ١١٥ .

(٢) شرح ابن بطال : ١٥ / ١٠٥ .

حجة العلماء وحكمتهم في علاج ظاهرة الفكر التصادمي :

النموذج الأول: الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز

لقد رأى عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - في استبعاد منطق القوة والقهر والاستبداد مقابل استخدام لغة الإقناع والحوار ورفع الغطاء عن البخار المحبوس، قبل أن يتحول إلى قذائف يمطر بها المجتمع هنا وهناك - الدرب الأمل في استيعاب الخارجين عن القانون و المروعين للناس، بل جعل العدل مفتاح الحل الوحيد لوقف شلال الدم و ترويع الآمنين.

أولاً: خرجت مجموعة من الخوارج في الأيام الأولى لخلافته مستأنفة تمردها المسلح فأرسل إلى زعيمها بسطام اليشكري - المعروف باسم شوذب - كتاباً يقول له فيه: « أما بعد، فقد بلغني أنك خرجت غضباً لله ورسوله ، و لست أولى بذلك مني ، فهلم أناظرك، فإن الحق معنا تدخل فيه، وإن يكن الحق معك تراجع أنفسنا و ننظر في أمرنا...!! ».

فتوقف شوذب عن تحركاته وأرسل إلى عمر، و قال له: « قد أنصفت... وقد بعثت إليك رجلين يُدارسانك و يناظرانك»، و التقى الرجلان بعمر، و جرى النقاش في جو ودي هاديء، و كان عمر يرد الحجة بالحجة، و البرهان بالبرهان، حتي اعترف أحد الرجلين، و قال لعمر: « ما سمعت كالיום قط من حجة أبين من حجتك... و أنا بريء ممن بريء منك » .

و أما الآخر فقال: « ما أحسن ما قلت و أبين ما وصفت »^(١).

(١) الخليفة الأموي الراشد عمر بن عبد العزيز، خالد البيطار، مكتبة المنار، ص ٩٥-٩٦.

و كانت النتيجة أن ألفت هذه المجموعة أسلحتها وعادت تمارس حياتها الطبيعية بين أفراد المجتمع بكل رغبة و اقتناع.

ثانياً: و مع مجموعة أخرى من الخوارج ساحت في الأرض تنشر أفكارها و آراءها الفاسدة تسمى « حرورية الموصل » فقد أرسل حاكم الموصل يستأذن عمر بن عبد العزيز في قمعها و إسكاتها، فأرسل إليه الخليفة عمر بن عبد العزيز كتاباً يقول فيه: « إذا رأوا أن يسيحوا في البلاد في غير أذى لأهل الذمة، و في غير أذى للأمة فليذهبوا حيث شاؤوا، و إن نالوا أحداً من المسلمين أو من أهل الذمة بسوء فحاكمهم إلى الله ».

و قد جعل - رضي الله عنه - المناقشة و الحوار بداية الطريق مع المخالفين و الخارجين على الدولة.

و كلما طول باستخدام القوة كمنهج سريع لقطع دابر الفكر التصادمي في البلاد كان رده من القرآن الكريم: ﴿ أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾^(١) و قوله تعالى: ﴿ فَذَكَرْنَاكَ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ ۗ ﴿١١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴾^(٢).

ثالثاً: كتب والى خراسان لعمر بن عبد العزيز يستأذنه في أن يرخص لـ باستخدام بعض القوة و الشدة مع أهلها، قائلاً في رسالته للخليفة: « إنهم لا يصلحهم إلا السيف و السوط ».

فكان رده حازماً مبنياً على فهم دقيق للأسلوب الأمثل في التعامل مع انحراف الفرد و الجماعة، و لعلمه أن العنف لا يولد إلا العنف بقوله: « كذبت! بل يصلحهم العدل و الحق، فابسط ذلك فيهم، و اعلم أن الله لا يصلح عمل المفسدين ».

(١) يونس : ٩٩ .

(٢) الغاشية : ٢١-٢٢ .

إن العنف لا يولد إلا العنف، و الشدة و القسوة لا تولد إلا الخراب و الدمار.

ورحم الله عمر بن عبد العزيز، فلقد كان قربه من كتاب الله و تربيته الصالحة سبباً في نجاحه في إدارة دولة خلت من العنف و غدا فيها العدل و الخير و الحق ملكاً للجميع... فتأمل.

النموذج الثاني: عبد الله بن عباس مع الخوارج

يقول ابن عباس: لما اعتزلت الخوارج دخلوا داراً و هم ستة آلاف، و أجمعوا على أن يخرجوا على علي بن أبي طالب، فكان لا يزال يجيء إنسان فيقول: يا أمير المؤمنين، إن القوم خارجون عليك، فيقول: دعهم؛ فإنني لا أقاتلهم حتى يقاتلوني و سوف يفعلون.

فلما كنت ذات يوم أتيت قبل صلاة الظهر فقلت له: يا أمير المؤمنين، أبرد بالصلاة لعلني أدخل على هؤلاء القوم فأكلمهم، فقال: إنني أخاف عليك، فقلت: كلا - و كنت رجلاً حسن الخلق لا أؤذي أحداً - فأذن لي، فلبست حلة من أحسن ما يكون من اليمن، و ترجلت و دخلت عليهم نصف النهار، فدخلت على قوم لم أر قط أشد منهم اجتهاداً، جباههم قرحة من السجود، و أياديهم كأنها ثقب الإبل، مسهمة و جوههم من السجود فسلمت عليهم فقالوا: مرحباً بابن عباس، ما جاء بك؟ فقلت: أتيتكم من عند المهاجرين و الأنصار، و من عند صهر رسول الله ﷺ، و عليهم نزل القرآن و هم أعلم بتأويله منكم.

فقلت طائفة منهم: لا تخاصموا قريش؛ فإن الله - عز و جل - يقول: ﴿هُرِّمُوا

قَوْمٌ حَصِيْمُونَ ﴿١﴾ .

فقال اثنان أو ثلاثة: لنكلمه .

فقلت: هاتوا ما نقيتم على صهر رسول الله ﷺ والمهاجرين والأنصار، وعليهم نزل القرآن، وليس فيكم منهم أحد وهم أعلم بتأويله! قالوا: ثلاثاً، قلت: هاتوا .

قالوا: أما إحداهن؛ فإنه حكّم الرجال في أمر الله، وقد قال الله: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ﴾ (٢) .

فما شأن الرجال والحكم بعد قول الله ﷻ؟

فقلت: هذه واحدة، وماذا؟

قالوا: و أما الثانية؛ فإنه قاتل ولم يسب ولم يغنم، فلئن كانوا مؤمنين لم حلّ لنا قتالهم وقتلهم ولم يحلّ لنا سبيهم؟

قلت: وما الثالثة؟

فقالوا: فإنه محي نفسه من أمير المؤمنين؛ فإنه إن لم يكن أمير المؤمنين فإنه لأمر الكافرين!

قلت: هل عندكم غير هذا؟ قالوا: كفانا هذا .

قلت لهم: أما قولكم: حكم الرجال في أمر الله، أنا أقرأ عليكم في كتاب ما ينقض هذا فإذا نقض قولكم أترجعون؟ قالوا: نعم .

قال: فإن الله قد صير من حكمه في الرجال في ربيع درهم (ثمن أرنب)

(١) الزخرف : ٥٨ .

(٢) الأنعام : ٥٧ .

كيف تكون لك خصوصية عند الله؟

وتلا هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾^(١)، إلى آخر الآية، فناشدتكم بالله: هل تعلمون حكم الرجال في إصلاح ذات بينهم و في حقن دمائهم أفضل أم حكمهم في أرنب و بضع امرأة؟ فأيهم ترون أفضل؟ قالوا: بل هذه، قلت: خرجت من هذه؟ قالوا: نعم.

قلت: و أما قولكم: قاتل و لم يسب و لم يغتم، فتسبون أمكم عائشة - رضي الله عنها - فوالله لئن قلتم: ليست بأمنا لقد خرجتم من الإسلام، ووالله لئن قلتم: لنسبناها و نستحل منها ما نستحل من غيرها، لقد خرجتم من الإسلام، فأنتم بين ضلالتين؛ لأن الله - عز وجل - يقول: ﴿الَّتِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ﴾^(٢). أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم.

قلت: و أما قولكم: محي نفسه من أمير المؤمنين، فأنا آتيكم بمن ترضون: إن النبي ﷺ يوم الحديبية صالح المشركين - أبا سفيان بن حرب و سهيل بن عمرو - فقال لعلي عليه السلام: «اكتب لهم كتاباً»، فكتب علي: هذا ما اصطلاح عليه محمد رسول الله، فقال المشركون: و الله ما نعلم أنك رسول الله، لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك! فقال رسول الله: «يا علي، اكتب: هذا ما اصطلاح عليه محمد بن عبد الله»، فوالله لرسول الله خير من علي، و قد محي نفسه فرجع منهم ألفان، و خرج سائرهم^(٣).

(١) الهائدة: ٩٥.

(٢) الأحزاب: ٦.

(٣) تليس إبليس، الإمام ابن الجوزي: ١١٢/١.

خامساً: النصرة والبذل

بذل المرء ماله ونفسه ووقته دليل على إيمانه العميق بفكرته ، وأنها أصبحت لا تنفك عنه فتشبع دمه بها ، وسمت روحه بها ، وقدم في سبيلها كل غال ونفيس .

ومن الذين شملتهم هذه الخصيصة: أبو بكر الصديق ﷺ :

ولقد أثنى الله ﷻ عليه في كتابه قرآنًا يُتلى إلى يوم القيامة ، فكفى بذلك فضلًا وشرفاً .

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ... الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴿٢١﴾ . أي: يصرف ماله في طاعة ربه؛ ليزكي نفسه وماله وما وهبه الله من دين ودنيا.

قال ابن كثير - رحمه الله : « ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق، ﷺ ، حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك. ولا شك أنه داخل فيها، وأولى الأمة بعمومها، فإن لفظها لفظ العموم، ولكنه مقدم الأمة وسابقتهم في جميع هذه الأوصاف وسائر الأوصاف الحميدة؛ فإنه كان صديقاً تقياً كريهاً جواداً بذالاً لأمواله في طاعة مولاه، ونصرة رسول الله، فكم من دراهم ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربه الكريم، ولم

٩٦ **كيف تكون لك خصوصية عند الله؟**
يكن لأحد من الناس عنده منة يحتاج إلى أن يكافئه بها»^(١).

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام قَالَ: إِنَّ اللَّهَ ذَمَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ وَمَدَحَ أَبَا بَكْرٍ عليه السلام فَقَالَ: «إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا»^(٢).

فانظر إلى تفردده في مقام النصرة بشهادة القرآن .

وتفرد أيضًا بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكفي بها شهادة :

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم النَّاسَ وَقَالَ: «...إِنَّ أَمَّنَ النَّاسِ عَلِيٌّ فِي مَالِهِ وَصُحْبَتِهِ أَبُو بَكْرٍ»^(٣).

قال العلماء: معناه: أكثرهم جودًا وساحة لنا بنفسه وماله، وليس هو من المن الذي هو الاعتداد بالصنيعة لأنه أذى مبطل للشواب، ولأن المنة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم في قبول ذلك وفي غيره^(٤).

ومن الذين تفردوا أيضًا بأموالهم عثمان بن عفان رضي الله عنه مُجَهِّزُ جَيْشِ الْعُسْرَةِ .

فَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: جَاءَ عُثْمَانُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بِأَلْفِ دِينَارٍ، قَالَ الْحَسَنُ بْنُ وَاقِعٍ: وَكَانَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنْ كِتَابِي: فِي كُفْمِهِ حِينَ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَيَنْتَرُهَا فِي حِجْرِهِ، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الرَّحْمَنِيُّ قَرَأْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يُقَلِّبُهَا فِي حِجْرِهِ وَيَقُولُ: «مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ» مَرَّتَيْنِ^(٥).

(١) تفسير ابن كثير: ٤٢٢ / ٨ .

(٢) التوبة: ٤٠ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي .

(٥) سنن الترمذي: مناقب عثمان بن عفان، (٣٦٣٤) قال الألباني: حسن، المشكاة (٦٠٦٤).

ومن الذين تفردوا في النصرة والبذل : عبد الرحمن بن عوف

وكان خصيسته عند الله : أن يُسقي من سلسبيل الجنة .

عَنْ عَائِشَةَ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ : « إِنَّ أَمْرَكَنَّ مِمَّا يُهْمُنِي بَعْدِي وَلَنْ يَضِرَّ عَلَيْكَنَّ إِلَّا الصَّابِرُونَ » قَالَ : ثُمَّ تَقُولُ عَائِشَةُ : فَسَقَى اللَّهُ أَبَاكَ مِنْ سَلْسَبِيلِ الْجَنَّةِ - تُرِيدُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ - وَكَانَ قَدْ وَصَلَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ بِهَالٍ يُقَالُ : بِيَعَتْ بِأَرْبَعِينَ أَلْفًا^(١) .

ومن الذين اتصفوا بهذه الخصيصة: طلحة بن عبيد الله

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَوَلِيَ النَّاسُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي نَاحِيَةٍ فِي اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ وَفِيهِمْ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ، فَأَذْرَكَهُمُ الْمُشْرِكُونَ ، فَالْتَفَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ : « مَنْ لِلْقَوْمِ ؟ » فَقَالَ طَلْحَةُ : أَنَا ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « كَمَا أَنْتَ » فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ : « أَنْتَ » فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ، ثُمَّ الْتَفَتَ فَإِذَا الْمُشْرِكُونَ ، فَقَالَ : « مَنْ لِلْقَوْمِ ؟ » فَقَالَ طَلْحَةُ : أَنَا ، قَالَ : « كَمَا أَنْتَ » فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ : أَنَا ، فَقَالَ : « أَنْتَ » فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَقُولُ ذَلِكَ وَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَيَقَاتِلُ قِتَالَ مَنْ قَبْلَهُ حَتَّى يُقْتَلَ ، حَتَّى بَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ لِلْقَوْمِ ؟ » فَقَالَ طَلْحَةُ : أَنَا ، فَقَاتَلَ طَلْحَةُ قِتَالَ الْأَحَدِ عَشَرَ حَتَّى ضَرَبَتْ يَدُهُ فَقَطِيعَتْ أَصَابِعُهُ ، فَقَالَ : حَسَّ ، فَقَالَ رَسُولُ

(١) سنن الترمذي : مناقب عبد الرحمن بن عوف ، (٣٦٨٢) قال الترمذي : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ .

٩٨ **كيف تكون لك خصوصية عند الله ؟**
الله ﷺ: « لَوْ قُلْتُ: بِسْمِ اللَّهِ لَرَفَعْتَكِ الْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ » ثُمَّ رَدَّ اللَّهُ
المشركين^(١).

والمُرَادُ الإِخْبَارُ بِمَا قُدِّرَ لِطَلْحَةَ بِخُصُوصِهِ تَقْدِيرًا مُطْلَقًا^(٢).

وعن طلحة بن عبيد الله قال: « سَمَانِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أَحَدٍ: طَلْحَةَ
الْخَيْرِ، وَفِي غَزْوَةِ الْعَشِيرَةِ: طَلْحَةَ الْفِيَاضِ، وَيَوْمَ حَنِينٍ: طَلْحَةَ الْجَوَادِ »^(٣).

وسمي بذلك: «لأنه جعل نفسه يوم أحد وقاية للنبي ﷺ من الكفار،
وطابت نفسه لكونه فداه وقد رأى الأمر عيانا، وأصيب يومئذ ببضع وثمانين
طعنة وضربة، وعقر في سائر جسده حتى في ذكره، وفر عن المصطفى ﷺ
كل أحد إلا هو فثبت معه، وكانوا إذا ذكروا يوم أحد قالوا: كان كله لطلحة،
وهو أحد العشرة المبشرة، وأحد الثمانية السابقة إلى الإسلام، وأحد الستة
أصحاب الشورى في الخلافة بعد عمر، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد
الصديق، سماه النبي صلى الله عليه وآله وسلم طلحة الفياض، وطلحة الجود
لكونه غاية فيه، باع أرضا بسبعمئة ألف، فلم يبق حتى فرقها على الفقراء،
وجاءه رحم له فشكى فأعطاه ثلاثمائة، وكان يرسل لعائشة كل سنة عشرة
آلاف، وتصدق في يوم بمائة ألف، ولم يجد ثوبا يصلي فيه ذلك اليوم^(٤).

ومن الذين كانت لهم خصيصة النصر والبذل: الزبير بن العوام:

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا، وَإِنَّ حَوَارِيَّ الزُّبَيْرِ

(١) سنن النسائي: ما يقول ما يطعنه العدو، (٣٠٩٨).

(٢) شرح سنن النسائي: ٤ / ٤٢١.

(٣) المستدرک علی الصحیحین للحاکم: مناقب طلحة بن عبيد الله، (٥٦٢٠).

(٤) فيض القدير: ٤ / ٣٥٧.

ابْنُ الْعَوَامِ»^(١).

أي : وزيراً أو ناصراً أو خالصاً أو خليلاً أو خاصة من أصحابه. وحواري الرجل : صفوته وخالسته، أي : صاحب سره، سمي به لخلوص نيته وصفاء سيرته من الحور - بفتححتين - شدة البياض، وقال الحرالي : الحواري المستخلف نفسه في نُصرة من تحق نصرته بما كان من إثارة على نفسه بصفاء وإخلاص لا كدر فيه^(٢).

والشاهد هنا : أنه مختص من أصحاب الرسول ﷺ ومفضل عليهم، والمراد : أنه كان له اختصاص بالنُصرة وزيادة فيها على أقرانه، وإلا فكل الصحابة كانوا أنصاره .

وعن عباد بن عبد الله بن الزبير قال : « كانت على الزبير بن العوام يوم بدر عمامة صفراء معتجربها ، فنزلت الملائكة عليهم عمامة صفراء »^(٣).

ومن الذين كانت لهم خصيصة عند الله في النُصرة : سعد بن أبي وقاص :

الذي جمع رسول الله له بفداء أبيه وأمه وكان ذلك يوم أحد : فعَنْ عَلِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْدِي أَحَدًا غَيْرَ سَعْدٍ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «أَزِمِ فَذَاكَ أَبِي وَأُمِّي» أَظْنُهُ يَوْمَ أُحُدٍ^(٤).

(١) صحيح البخاري : مناقب الزبير بن العوام ، (٣٤٤١).

(٢) فيض القدير : ٦٥٣ / ٢ .

(٣) المستدرک علی الصحیحین للحاکم : ذکر مناقب حواری رسول الله ، (٥٥٦٦).

(٤) صحيح البخاري : قول الرجل : فذاك أبي وأمي ، (٥٧١٦).

ومن الذين شملتهم هذه الخصيصة : عبدالله بن حرام

ومن الذين خصهم الله بتكليمه كفاحًا جزاء لُنصرته للإسلام بنفسه في غزوة أحد : عبد الله بن عمرو بن حرام، والد جابر بن عبد الله - رضي الله عنها .

عن جابر قال : لقيني النبي ﷺ فقال لي: « يا جابر، مالي أراك منكسرًا؟ »
فقلت: يا رسول الله، استشهد أبي وترك عيالًا ودينًا .
فقال : «ألا أبشرك بما لقي الله به أباك؟» .
قلت : بلى يا رسول الله .

قال : « ما كلم الله أحدًا قط إلا من وراء حجاب ، وإن الله أحى أباك
فكلمه كفاحًا فقال: يا عبدي تمن أعطك .
قال: تحييني فأقتل قتلة ثانية .

قال الله: إني قضيت أنهم لا يرجعون» ونزلت هذه الآية : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ
الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾^(١) .

ومن الذين شملتهم هذه الخصيصة من النساء : خديجة رضي الله عنها :

قال ابن تيمية - رحمه الله : « خديجة رضي الله عنها كان تأثيرها في أول

(١) صحيح ابن حبان ، فضائل الصحابة (ج ١/٧٤٧)، رقم الحديث (٧٠٢٢) . والآية في سورة آل عمران : ١٦٩ . انظر حديث رقم : ٧٩٠٥ في صحيح الجامع .

كيف تكون لك خصوصية عند الله ؟ **كيفية** ١٠١

الإسلام، وكانت تسلي رسول الله وتثبته وتسكنه وتبذل دونه مالها، فأدركت
عزة الإسلام واحتملت الأذى في الله وفي رسوله، وكانت نصرتها للرسول في
أعظم أوقات الحاجة فلها من النصرة والبذل ما ليس لغيرها»^(١).

وكان لها خصيصة عند الله ألا وهي: تبشيرها ببيت من قصب لتفرد بها
بنصرته :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَى جَبْرِيلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: « يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ
خَدِيجَةٌ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَأَقْرَأْ عَلَيْهَا
السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَحْبَ فِيهِ وَلَا
نَصَبَ »^(٢).

قال ابن القيم - رحمه الله : «وهذه لعمر الله خاصة لم تكن لسواها»^(٣).
ومن خواص خديجة رضي الله عنها أنها لم تسؤه قط ، ولم تغاضبه ،
ولم ينلها منه إيلاء ، ولا عتب قط ولا هجر ، وكفى به منقبة وفضيلة.

(١) جلاء الأفهام : ٢٣٥ .

(٢) صحيح البخاري : تزويج النبي خديجة ، (٣٥٣٦).

(٣) جلاء الأفهام : ٢٣٥ .

سادساً : الإرادة القوية

المفهوم الحقيقي للإرادة الحقيقية الصادقة : هو القدرة على القيام بالأعمال بقوةٍ ويسرٍ وتوازنٍ ووضوحٍ وانسجامٍ ذهنيٍ كاملٍ مع العمل.

يقول الدكتور البوطي : «إن المعنى الذي يريدونه منها أن يتمتع الإنسان بقدرة كافية على كبح جماح أهوائه وغرائزه عندما تشتت إلى حيث الخوف والخطر.. والإنسان الذي يتمتع فعلاً بهذه القوة، فلا يريد إلا ما تدعوه قناعته العقلية إلى إرادته وفعله، مكان إعجاب وغبطة من الآخرين».

صفات صاحب الإرادة :

١- التشبُّث والمثابرة: وهو تصميم الإنسان على النجاح، ويعني القدرة المتوازنة التي تختلف عن العناد الذي هو عجزٌ وسلبٌ.

٢- السيادة على الذات: وهو الاستعداد للسيطرة على العواطف والغرائز سيطرةً حقيقيةً ناضجة، بحيث نتفحص المشكلات التي تعرض لنا تفحصاً هادئاً واضحاً يمكننا من التصرف إزاءها بمتهى النضج والحكمة.

٣- روح التصميم: وهي القيام بالعمل «بسرعة»، وبلا ترددٍ أو اندفاعٍ غير مسؤول.

٤- روح المبادرة: وهي الاستعداد في الشروع لعملٍ جديدٍ بلا ترددٍ.

معوقات الإرادة:

- ١- الاندفاعية غير المسؤولة: وهو ما قد يُظنُّ خطأً أنه شجاعةٌ وتصميمٌ في بعض الأحيان، ولكنه في الحقيقة ناتجٌ عن ضعفٍ داخليّ.
- ٢- ضعف الاهتمام والعجز عن العمل.
- ٣- التعب المؤدّي إلى الانهك والوهن.
- ٤- التصلّب الذهني والعناد والمكابرة.
- ٥- الشخصية الممزّقة غير راسخة المبادئ.
- ٦- الانفعالية.

ما يفسح المجال للإرادة:

- ١- مرونة التفكير ورحابة الرؤية.
- ٢- الأمل الفسيح.
- ٣- توازن الشخصية ووضوحها أمام نفسها.

كيف نربي إرادتنا؟:

نعني بتربية الإرادة: بلوغ القوّة والتوازن والوضوح واتّساع الرؤية، والمرونة الذهنيّة عند القيام بالعمل، وذلك يتمُّ على النحو التالي:

١٠٤ **كيف تكون لك خصوصية عند الله؟**

١- استبعاد كل ما يعكّر الحيويّة والاندفاع، هذا التعكير الذي أنتج الكسل والتردّد والشعور بالدونيّة.

٢- استبعاد كل ما يعكّر الحياة الروحيّة والنفسيّة بتنمية الطاقات الإيمانيّة والذهنيّة.

كيف يكون ذلك؟

١- «استعن بالله ولا تعجز»، وهو استشعار الاستعانة بالله فعلاً عند القيام بأي عمل، وهي قوّة ذهنيّة تدفعك إلى نبذ العجز والقيام بالعمل بسُرّ وبقوّة.

٢- النظر في قصص الكفاح والنجاح لعظماء وعلماء التاريخ، خاصّة ممّن عانوا من إعاقات جسديّة، ولكنّ قوّتهم الروحيّة دفعتهم للإنجازات التي دخلوا بها التاريخ.

٣- العمل على خدمة المجتمع، ف«خير الناس أنفعهم للناس»، من فقراء ومسكين وأيتام؛ لأنّ صاحب النشاط والاندماج والإنتاج تقوي إرادته الداخليّة.

٤- الرياضة الذهنيّة والتفكير الإيماني والتأمّل في النفس والكون، كل ذلك يقوّي الذهن والروح ويشحذ الإرادة، ويمكن التدرّب على ذلك تدريجيّاً حتى تصبح عادةً يوميّة مع إرفاقها بتسيّحات منوّعة.

٥- ممارسة العبادات الصعبة المقويّة للإرادة، كالصيام وقيام الليل، على أن تكون بعمق وإخلاص.

٦- ممارسة رياضة بدنيّة تحتاج إلى مثابرة وصبر، كالسباحة وغيرها.

٧- القراءة المنتظمة اليومية، فهي تساعد على رحابة الفكر واتساع

الذهن.

مِن أَصْحَابِ الْإِرَادَةِ الْقَوِيَّةِ :

* وَمَنْ اخْتَصَّ بِذَلِكَ: جَعْفَرُ بْنُ طَالِبٍ ؑ: الَّذِي خَصَّهُ اللَّهُ بِجَنَاحَيْنِ فِي
الْجَنَّةِ دُونَ سَائِرِ الشُّهَدَاءِ :

عَنْ الشَّعْبِيِّ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كَانَ إِذَا سَلَّمَ عَلَى ابْنِ جَعْفَرٍ
قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بَنَ ذِي الْجَنَاحَيْنِ^(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَأَيْتُ جَعْفَرَ يَطِيرُ فِي الْجَنَّةِ مَعَ
الْمَلَائِكَةِ»^(٢).

«عُوِّضَ بِهَا عَنْ قَطْعِ يَدَيْهِ فِي غَزْوَةِ مَوْتَةَ حَيْثُ أَخَذَ اللُّوَاءَ بِيَمِينِهِ فَقَطَّعَتْ،
ثُمَّ أَخَذَهُ بِشِمَالِهِ فَقَطَّعَتْ، ثُمَّ اخْتَضَنَهُ فَقُتِلَ. وَالْمُرَادُ بِالْجَنَاحِيَّةِ صِفَةُ مَلَائِكَةٍ
وَقُوَّةَ رُوحَانِيَّةٍ أُعْطِيَهَا جَعْفَرٌ»^(٣).

قال القاضي: لما بذل نفسه في سبيل الله، وحارب أعداءه حتى قطعت
يداه، ورجلاه أعطاه الله أجنحة روحانية يطير بها مع الملائكة^(٤).

* ومنهم: عاصم بن ثابت ؑ: والذي كانت خصوصيته أن حمته الدبّر
من الكفار:

(١) صحيح البخاري: مناقب جعفر بن أبي طالب، (٣٤٣٣).

(٢) سنن الترمذي: مناقب جعفر بن أبي طالب، (١٢ / ٢٣١).

(٣) فتح الباري: ٧٨ / ١٢.

(٤) فيض القدير: ١٢ / ٤.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم سَرِيَّةَ عَيْنَا، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ وَهُوَ جَدُّ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَاَنْطَلَقُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَّةَ ذُكِرُوا لِحَيٍّ مِنْ هُدَيْلٍ يُقَالُ لَهُمْ: بَنُو لِحْيَانَ، فَتَبِعُوهُمْ بِقَرِيبٍ مِنْ مِائَةِ رَامٍ فَاقْتَصَوْا آثَارَهُمْ حَتَّى أَتَوْا مَنْزِلًا نَزَلُوهُ فَوَجَدُوا فِيهِ نَوَى تَمْرِ تَزْوَدُوهُ مِنَ الْمُدِينَةِ، فَقَالُوا: هَذَا تَمْرٌ يَنْزِبُ، فَتَبِعُوا آثَارَهُمْ حَتَّى لِحَقَوْهُمْ، فَلَمَّا رَأَاهُمْ عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ لَجُّوا إِلَى فِدْفِدٍ، وَجَاءَ الْقَوْمُ فَأَحَاطُوا بِهِمْ، فَقَالُوا: لَكُمْ الْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ إِنْ نَزَلْتُمْ إِلَيْنَا أَلَا نَقْتُلُ مِنْكُمْ رَجُلًا، فَقَالَ عَاصِمٌ: أَمَا أَنَا فَلَا أَنْزِلُ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ اللَّهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا بَيْتَكَ، فَقَاتَلُوهُمْ حَتَّى قَتَلُوا عَاصِمًا فِي سَبْعَةِ نَفَرٍ بِالْبُتْلِ، وَبَقِيَ خُبَيْبٌ وَزَيْدٌ وَرَجُلٌ آخَرٌ فَأَعْطَوْهُمْ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ، فَلَمَّا أَعْطَوْهُمْ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ نَزَلُوا إِلَيْهِمْ، فَلَمَّا اسْتَمَكَّنُوا مِنْهُمْ حَلُّوا أَوْتَارَ قَسِيهِمْ فَرَبَطُوهُمْ بِهَا، فَقَالَ الرَّجُلُ الثَّلَاثُ الَّذِي مَعَهُمَا: هَذَا أَوَّلُ الْغَدْرِ، فَأَبَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ فَجَرَّرُوهُ وَعَاجَلُوهُ عَلَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ فَلَمْ يَفْعَلْ فَتَقَاتَلُوهُ، وَأَنْطَلَقُوا بِخُبَيْبٍ وَزَيْدٍ حَتَّى بَاعُوهُمَا بِمَكَّةَ، فَاشْتَرَى خُبَيْبًا بَنُو الْحَارِثِ بْنِ عَامِرِ بْنِ تَوْفَلٍ، وَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ قَتَلَ الْحَارِثَ يَوْمَ بَدْرٍ، فَمَكَثَ عِنْدَهُمْ أُسِيرًا حَتَّى إِذَا أَجْمَعُوا قَتَلَهُ اسْتِعَارَ مُوسَى مِنْ بَعْضِ بَنَاتِ الْحَارِثِ لِيَسْتَجِدَّ بِهَا فَأَعَارَتْهُ، قَالَتْ: فَغَفَلْتُ عَنْ صَبِيٍّ لِي فَدَرَجَ إِلَيْهِ حَتَّى أَتَاهُ فَوَضَعَهُ عَلَى فَخْذِهِ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ فَرَعْتُ فَرَعَةً عَرَفَ ذَلِكَ مِنِّي وَفِي يَدِهِ الْمَوْسَى فَقَالَ: أَلَمْ تَخْشَيْنِ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَكَأَنْتِ تَقُولُ: مَا رَأَيْتُ أُسِيرًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ خُبَيْبٍ، لَقَدْ رَأَيْتُهُ يَأْكُلُ مِنْ قَطْفِ عِنَبٍ وَمَا بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ نَمْرَةً، وَإِنَّهُ لَمَوْتِقٌ فِي الْحَدِيدِ وَمَا كَانَ إِلَّا رِزْقُ رِزْقِهِ اللَّهُ، فَخَرَجُوا بِهِ مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ، فَقَالَ: دَعُونِي أُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: لَوْلَا أَنْ تَرَوْا أَنَّ مَا بِي جَزَعٌ مِنَ الْمَوْتِ لَرِدْتُمْ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الرَّكَعَتَيْنِ عِنْدَ الْقَتْلِ هُوَ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا، ثُمَّ قَالَ:

مَا أَبَالَى حِينَ أَقْتُلُ مُسْلِمًا عَلَى أَيِّ شَيْءٍ كَانَ اللَّهُ مَضْرَعِي

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَاءُ يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعٍ

ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ عُقْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ فَقَتَلَهُ، وَبَعَثَتْ قُرَيْشٌ إِلَى عَاصِمٍ لِيُؤْتُوا بِشَيْءٍ مِنْ جَسَدِهِ يَغْرِفُونَهُ، وَكَانَ عَاصِمٌ قَتَلَ عَظِيمًا مِنْ عُظَمَائِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ، فَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِثْلَ الظِّلَّةِ مِنَ الدَّبِيرِ فَحَمَتَهُ مِنْ رُسُلِهِمْ فَلَمْ يَقْدِرُوا مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ^(١).

اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ فِي حِمَايَةِ لَحْمِهِ مِنَ الْمَشْرِكِينَ، وَلَمْ يَمْنَعُهُمْ مِنْ قَتْلِهِ لِمَا أَرَادَ مِنْ إِكْرَامِهِ بِالشَّهَادَةِ، وَمِنْ كَرَامَتِهِ: حِمَايَتُهُ مِنْ هَتِكِ حُرْمَتِهِ بِقَطْعِ لَحْمِهِ^(٢).

وَعَنْ قَتَادَةَ- رَحِمَهُ اللَّهُ - قَالَ: «كَانَ عَاصِمٌ بِنِ تَابِتٍ أُعْطِيَ اللَّهُ عَهْدًا أَنْ لَا يَمَسَّهُ مُشْرِكٌ وَلَا يَمَسَّ مُشْرِكًا أَبَدًا، فَكَانَ عَمْرٌ يَقُولُ لِمَا بَلَغَهُ خَبْرُهُ: يَحْفَظُ اللَّهُ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ بَعْدَ وَفَاتِهِ كَمَا حَفِظَهُ فِي حَيَاتِهِ.

وَفِي الْحَدِيثِ: أَنْ لِلْأَسِيرِ أَنْ يَمْتَنِعَ مِنْ قَبُولِ الْأَمَانِ وَلَا يُمَكِّنَ مِنْ نَفْسِهِ وَلَوْ قُتِلَ، أَنْفَةً مِنْ أَنَّهُ يُجْرِي عَلَيْهِ حُكْمَ كَافِرٍ، وَهَذَا إِذَا أَرَادَ الْأَخْذَ بِالشَّدَةِ، فَإِنْ أَرَادَ الْأَخْذَ بِالرُّخْصَةِ لَهُ أَنْ يَسْتَأْمِنَ^(٣).

وقال الأوزاعي: لا بأس للأسير بالشدة والإبائة من الأسر والأنفة من أن يجاري ملكًا كافرًا، كما فعل عاصم وأحد صاحبي خبيب، حتى أبى من السير معهم، حتى قتلوه^(٤).

* ومن أصحاب الإرادة القوية: خبيب بن عدي، كم ذُكِرَ في الحديث

السابق، وفيه خصيصة له:

(١) صحيح البخاري: غزوة الرجيع وبئر معونة، (٣٧٧٧).

(٢) فتح الباري: ١١/ ٤٢٠.

(٣) فتح الباري: ١١/ ٤٢٠.

(٤) شرح ابن بطلال: ٩/ ٢٦٩.

حيث إنه أول من سن ركعتين عند القتل .

قال العلماء :

فيه : استئذان الركعتين لكل من قتل صبرًا .

وفيه : استئذان الاستعداد لمن أسر، ولمن يقتل؛ لئلا يطلع منه على قبح عورة .

وفيه: أداء الأمانة إلى المشرك وغيره .

وفيه: التورع من قتل أطفال المشركين رجاء أن يكونوا مؤمنين .

وفيه: الامتداح بالشعر في حين ينزل بالمرء هوان في دين أو ذلة ليُسَلَى بذلك نفسه، ويرغم بذلك أنف عدوه، ويجدد في نفسه صبرًا وأنفة^(١) . فأنعم بهذه الخصيصة .

* ومن أصحاب الإرادة القوية والذي انتصر على شهوته ولذته وخرج جنبًا عندما سمع هبة الحرب : حنظلة بن عامر^(٢) ، والذي كانت خصيسته تغسيل الملائكة له :

عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن جده ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول - وقد كان الناس انهموا عن رسول الله ﷺ حتى انتهى بعضهم إلى دون الأعراض على جبل بناحية المدينة ، ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ وقد كان حنظلة بن أبي عامر التقى هو وأبو سفيان بن حرب ، فلما استعلاه حنظلة رآه شداد بن الأسود ، فعلاه شداد بالسيف حتى قتله ،

(١) شرح ابن بطال : ٢٦٩ / ٩ .

(٢) حنظلة : هو حنظلة بن الراهب ، سمع هبة الخروج إلى أحد ، فخرج جنبًا لم يغتسل وذلك لإسراعه بالخروج فاستشهد فغسلته الملائكة ، فأسماه الرسول ﷺ حنظلة غسيل الملائكة .

كيف تكون لك خصوصية عند الله ؟ ١٠٩

وقد كاد يقتل أبا سفيان ، فقال رسول الله ﷺ : « إن صاحبكم حنظلة تغسله الملائكة ، فسلوا صاحبه » ، فقالت : خرج وهو جنب لما سمع الهائعة^(١) ، فقال رسول الله ﷺ : « فذاك قد غسلته الملائكة »^(٢) .

* ومن أصحاب الإرادة القوية والذي قدم رضا الله ورسوله على رضا قومه : سعد بن معاذ :

و كانت خصيسته عند الله : أن اهتز له عرش الرحمن : عن جابر بن عبد الله قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ - وَجَنَازَةُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ : « اهْتَزَّ لَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ »^(٣) .

قال ابن حجر - رحمه الله : الْمَرَادُ بِاهْتِزَازِ الْعَرْشِ : اسْتِيشَارُهُ وَسُرُورُهُ بِقُدُومِ رُوحِهِ ، يُقَالُ لِكُلِّ مَنْ فَرِحَ بِقُدُومِ قَادِمٍ عَلَيْهِ : اهْتَزَّ لَهُ ، وَهِيَ عَلَامَةٌ نَصَبَهَا اللَّهُ لِمَوْتِ مَنْ يَمُوتُ مِنْ أَوْلِيَائِهِ لِيُشْعِرَ مَلَائِكَتَهُ بِفَضْلِهِ^(٤) .

والسر في هذه الخصوصية :

أَنَّ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ لَمَّا حَكَّمَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ حَاصَرَهُمْ ، فَتَزَلُّوا عَلَى حُكْمِهِ . فَأَنْزَلَهُمْ عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ لَمَّا طَلَبَ مِنْهُمْ حِلْفًا وَهُمْ مِنَ الْأَنْصَارِ أَنْ يُحْسِنَ إِلَيْهِمْ ، وَكَانَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ خِلَافَ مَا يَظُنُّ بِهِ بَعْضُ قَوْمِهِ : كَانَ مُقَدِّمًا لِرِضَا اللَّهِ وَرَسُولِهِ عَلَى رِضَا قَوْمِهِ ؛ وَهَذَا لَمَّا مَاتَ اهْتَزَّ لَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ فَرَحًا بِقُدُومِ رُوحِهِ .

(١) الهَيْعَةُ : الصَّوْتُ الَّذِي تَفْرَعُ مِنْهُ وَتَحَافُهُ مِنْ عَدُوِّ . النِّهَايَةُ : ٥ / ٦٧٥ .

(٢) صحيح ابن حبان : ذكر حنظلة بن عامر غسل الملائكة ، (٧١٥١) .

(٣) سنن الترمذي : مناقب سعد بن معاذ ، (٣٧٨٣) . قَالَ أَبُو عِيسَى : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

(٤) فتح الباري : ١١ / ١١٣ .

فَحَكَمَ فِيهِمْ :

- أَنْ تُقْتَلَ مُقَاتِلَتَهُمْ .

- وَتُسَبَى حَرِيمُهُمْ .

- وَتُقَسَّمُ أَمْوَالُهُمْ .

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ الْمَلِكِ »^(١) . وَفِي رِوَايَةٍ : « لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللَّهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ »^{(٢)(٣)} .

(١) صحيح البخاري : باب إِذَا نَزَلَ الْعَدُوُّ عَلَى حُكْمِ رَجُلٍ ، (٢٨١٦) .

(٢) سنن النسائي الكبرى : ٤٦٥ / ٣ .

(٣) الفتاوى الكبرى : ٣٠١ / ٣ .

سابعًا : الخلق الحسن

فأساس الإسلام الخلق الحسن ، وهو أثقل ما يوضع في ميزان العبد ، فعن أبي الدرداء ، يبلغُ به : « مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرَّفْقِ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَثْقَلَ فِي الْمِيزَانِ مِنَ الْخُلُقِ الْحَسَنِ »^(١).

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : « الْخُلُقُ الْحَسَنُ يُذِيبُ الْخَطَايَا كَمَا يُذِيبُ الْمَاءُ الْجَلِيدَ »^(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال : « إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَاتِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ »^(٣).

قال الغزالي : الخلق الحسن أفضل أعمال الصديقين ، وهو على التحقيق شطر الدين ، وهو ثمرة مجاهدة المتقين ، ورياضة المتعبدين^(٤).

(١) مسند الإمام أحمد : بقية حديث أبي الدرداء ، (٢٦٢٧٣).

(٢) المعجم الكبير للطبراني : ٩ / ١٩٦.

(٣) مسند أحمد ٦ / ٩٠ و ١٣٣ و ١٨٧ ، وأبو داود (٤٧٩٨) . وأخرجه : ابن حبان (٤٨٠) ، والحاكم ٦٠ / ١ ، والبيهقي في " شعب الإيثار " (٧٩٩٧) ، والبخاري (٣٥٠٠) و (٣٥٠١) ، وهو قوي بشواهد.

(٤) فيض القدير : ٢ / ٥٦٦ .

ومن شهد لهم الرسول بالخلق الحسن :

أبو بكر بالرحمة بالأمة :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ»^(١).

لأن شأنه العطف والرحمة واللين والقيام برعاية تدبير الحق تعالى ومراقبة صنعه ، فكان يدور مع الله في التدبير ويستعمل اللين مع الكبير والصغير^(٢).

في الصدق : أبو بكر الصديق أيضاً :

وَعَنْ أَبِي يَحْيَى حَكِيمِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا ﷺ يَخْلِفُ: اللَّهُ أَنْزَلَ اسْمَ أَبِي بَكْرٍ مِنَ السَّمَاءِ الصُّدِيقُ^(٣).

وفي ثناء النبي ﷺ على تصديق أبي بكر ﷺ له : عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذًا بِطَرْفِ ثَوْبِهِ حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ» فَسَلِمَ وَقَالَ: إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الْحَطَّابِ شَيْءٌ فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ ثُمَّ نِدِمْتُ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي فَأَبَى عَلَيَّ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ، فَقَالَ: «يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ» ثَلَاثًا، ثُمَّ إِنَّ عَمَرَ نَدِمَ فَأَتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ فَسَأَلَ: أَأَنْتَ أَبُو بَكْرٍ؟ فَقَالُوا: لَا فَأَتَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَلِمَ،

(١) سنن الترمذی : مناقب معاذ بن جبل ، (٣٧٩٠) .

(٢) فيض القدير : ٥٨٨ / ١ .

(٣) المعجم الكبير للطبراني : ٧ / ١ .

كيف تكون لك خصوصية عند الله؟ ١١٣

فَجَعَلَ وَجْهَ النَّبِيِّ ﷺ يَتَمَعَّرُ حَتَّىٰ أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ، فَجَسَّأَ عَلَىٰ رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمُ - مَرَّتَيْنِ - فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَ وَوَأَسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا إِلَىٰ صَاحِبِي» مَرَّتَيْنِ، فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا^(١).

«فكان لأبي بكر الصديق ﷺ وأرضاه: ذروة سنام الصديقية. سمي الصديق على الإطلاق، والصديق أبلغ من الصدوق، والصدوق أبلغ من الصادق، فأعلى مراتب الصدق: مرتبة الصديقية وهي كمال الانقياد للرسول مع كمال الإخلاص للمرسَل»^(٢).

وكان جزاء الله له أنه أول من يدخل من أمة محمد ﷺ الجنة وهي خصيصة له تفرد بها:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَانِي جَبْرِيلُ فَأَخَذَ بِيَدِي فَأَرَانِي بَابَ الْجَنَّةِ الَّذِي تَدْخُلُ مِنْهُ أُمَّتِي»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ مَعَكَ حَتَّىٰ أَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَا إِنَّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ أَوْلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي»^(٣).

وعمر بن الخطاب في الشدة في أمر الله:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «... وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ عُمَرُ»^(٤).

(١) صحيح البخاري: باب قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا حَلِيلًا، (١١ / ٤٩٠).

(٢) مدارج السالكين: ٢ / ٢٧٠.

(٣) سنن أبي داود: في الخلفاء، (٤٠٣٣).

(٤) سنن الترمذي: مناقب معاذ بن جبل، (٣٧٩٠).

أي: أقوامهم صرامة وأصلبهم شكيمة في دين الله؛ لغلبة سلطان الجلال على قلبه^(١).

وعثمان بن عفان بالحياء :

قال رسول الله ﷺ: «... وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءَ عُثْمَانَ»^(٢) .

وعن ابن عباس قال: جلس رسول الله ﷺ في بيت ليس عليه إزار، فطرحه بين رجليه وفخذاه خارجتان، فجاء أبو بكر يستأذن عليه فأذن له فدخل، ثم جاء عمر فأذن له فدخل، ثم جاء عثمان فأذن له، فلما رآه النبي ﷺ قام مسرعاً حتى دخل البيت فشق ذلك على عائشة، فلما خرج القوم، قالت: يا رسول الله، دخل أبو بكر وعمر فلم تغير عن حالك، فلما دخل عثمان قمت، فقال: «يا عائشة، ألا أستحيي ممن تستحي منه الملائكة، إن الملائكة تستحي من عثمان»^(٣).

وأبو عبيدة بن الجراح بالأمانة :

قال رسول الله ﷺ: «... أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا، وَإِنَّ أَمِينَ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجُرَّاحِ»^(٤).

وعن حذيفة قال: جاء العاقب والسيد صاحباً نجراًن إلى رسول الله ﷺ

(١) فيض القدير : ٥٨٨ / ١ .

(٢) سنن الترمذي : مناقب معاذ بن جبل ، (٣٧٩٠) .

(٣) المعجم الكبير للطبراني : ٤٥٢ / ٩ .

(٤) صحيح البخاري : مناقب أبي عبيدة ، (٣٧٤٤) .

يُرِيدَانِ أَنْ يُلَاعِنَاهُ، قَالَ: فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: لَا تَفْعَلْ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلَاعِنًا لَا تُفْلِحُ نَحْنُ وَلَا عَقِبُنَا مِنْ بَعْدِنَا، قَالَ: إِنَّا نُعْطِيكَ مَا سَأَلْتَنَا وَابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا أَمِينًا وَلَا تَبْعَثْ مَعَنَا إِلَّا أَمِينًا فَقَالَ: «لَأَبْعَثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ» فَاسْتَشْرَفَ لَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «فَمَ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بَنَ الْجَرَّاحِ» فَلَمَّا قَامَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا أَمِينٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ»^(١).

أي: عرضوا على الرسول ﷺ أن يرسل معهم رجلاً أميناً:

- يحكم بينهم فيما اختلفوا فيه .
- وَيُعَلِّمُهُمُ السُّنَّةَ وَالْإِسْلَامَ.

فكان أبو عبيدة :

- ثقة رضيًا تُعَوَّلُ النفس عليه ، وتسكن القلوب إليه .
- وخصه بأمانة هذه الأمة لأن عنده من الزيادة فيها ما ليس لغيره ، فهو الأمين الرشيد والعامل الزهيد الأمين للأمة .
- كان للأجانب من المؤمنين وديداً ، وعلى الأقارب من المشركين شديداً^(٢).
- وَكَانَ عُمَرُ يُحِبُّ مُوَافَقَتَهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ ، وَيَكْرَهُ مُخَالَفَتَهُ وَجُمُحَتَهُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لِمَا تَحَقَّقَ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَانَتِهِ ، فَقَدَّ سَمَاءُ النَّبِيِّ ﷺ أَمِينَ هَذِهِ الْأُمَّةِ^(٣) .
- وسر تسميته بأمين الأمة ، لطهارة خلقه .

قال ابن تيمية : اسْتَحَقَّ أَبُو عُبَيْدَةَ ﷺ أَنْ يَكُونَ أَمِينًا هَذِهِ الْأُمَّةِ لِأَنَّ

(١) صحيح البخاري : قصة أهل نجران ، (٤٣٨٠) .

(٢) فيض القدير : ٦٤٣ / ٢ .

(٣) شرح الموطأ : ٢٧٣ / ٤ .

١١٦ **كيف تكون لك خصوصية عند الله ؟**
 الْمُؤْتَمِنُ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي نَفْسِهِ مُرَاحَةً عَلَى شَيْءٍ مِمَّا أُؤْتَمِنَ عَلَيْهِ كَانَ أَحَقَّ
 بِالْأَمَانَةِ مِمَّنْ يَخَافُ مُرَاحَتَهُ ؛ وَهَذَا يُؤْتَمِنُ عَلَى النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ الْخُصْيَانَ،
 وَيُؤْتَمِنُ عَلَى الْوَالِيَةِ الصُّغْرَى مَنْ يُعْرِفُ أَنَّهُ لَا يُزَاحِمُ عَلَى الْكُبْرَى، وَيُؤْتَمِنُ عَلَى
 السَّالِمِ مَنْ يُعْرِفُ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ غَرَضٌ فِي أَخْذِ شَيْءٍ مِنْهُ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ مَنْ فِي نَفْسِهِ
 خِيَانَةٌ شُبِّهَ بِالذُّبِّ الْمُؤْتَمِنِ عَلَى الْغَنَمِ، فَلَا يَقْدِرُ أَنْ يُؤَدِّيَ الْأَمَانَةَ فِي ذَلِكَ لِمَا
 فِي نَفْسِهِ مِنَ الطَّلَبِ لَهَا أُؤْتَمِنَ عَلَيْهِ ^(١).

وقول رسول الله ﷺ: «حَقَّ آمِينَ»: أثبت لإبي عبيدة أعلى مراتب الأمانة .
 وأعلى مراتب الأمانة هنا أمانة الرسالة ، أمانة الدعوة إلى الله .

وفي الحلم والأناة : الأشج بن عبد قيس :

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْأَشَجِّ أَشَجَّ عَبْدُ الْقَيْسِ : «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا
 اللَّهُ : الْحِلْمَ وَالْأَنَاءَةَ» ^(٢).

قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضُ : فَلَأَنَاءَةٌ تَرْبُصُهُ حَتَّى نَظَرَ فِي مَصَالِحِهِ وَلَمْ يَعْجَلْ ،
 وَالْحِلْمُ هَذَا الْقَوْلُ الَّذِي قَالَهُ الدَّالُّ عَلَى صِحَّةِ عَقْلِهِ ، وَجَوْدَةِ نَظَرِهِ
 لِلْعَوَاقِبِ ^(٣).

و في صدق اللهجة : أبو ذر الغفاري :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ مَا : « أَقَلَّتْ

(١) مجموع الفتاوى : ٢ / ٣٥٧ .

(٢) صحيح مسلم : الأمر بالإيمان بالله ورسوله ، (٢٤) .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي : ١ / ٨٧ .

الْعَبْرَاءُ وَلَا أَظَلَّتْ الْخُضْرَاءُ مِنْ رَجُلٍ أَصْدَقَ هَجَّةً مِنْ أَبِي ذَرٍّ» (١).

اللهجة: اللسان وما ينطق به من الكلام، والمراد به أنه بلغ في الصدق نهايته والمرتبة الأعلى، وقيل: يمكن أن يراد به أنه لا يذهب إلى الإحتمال في الصدق والمعاريف في الكلام فلا يُرْخِي عَنَانَ كَلَامِهِ، وَلَا يُوَارِي مَعَ النَّاسِ، وَلَا يُسَاحِمُهُمْ وَيُظْهِرُ الْحَقَّ الْبَحْثَ وَالصَّدْقَ الْمَحْضَ (٢).

والمبالغة في صدقه يعني: هو متناه في الصدق، لا أنه أصدق من غيره مطلقاً إذ لا يصح أن يقال: إنه أصدق من الصديق (٣).

ومنهم من كانت خصيسته الوقار: دحية الكلبي:

ولذلك كان جبريل ﷺ ينزل على صورته، ولذلك كان رسول الله ﷺ يرسله إلى الملوك:

عَنْ أَبِي عُمَانَ قَالَ: أُنْبِئْتُ: أَنَّ جَبْرِيلَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَعِنْدَهُ أُمُّ سَلَمَةَ، فَجَعَلَ يَتَحَدَّثُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأُمِّ سَلَمَةَ: «مَنْ هَذَا؟» أَوْ كَمَا قَالَ قَالَتْ: هَذَا دِحْيَةُ (٤) فَلَمَّا قَامَ قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا حَسِبْتُهُ إِلَّا إِيَّاهُ حَتَّى سَمِعْتُ خُطْبَةَ النَّبِيِّ ﷺ يُخْبِرُ خَبَرَ جَبْرِيلَ أَوْ كَمَا قَالَ (٥).

وَعَنْ جَابِرٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «عَرِضَ عَلَيَّ الْأَنْبِيَاءُ... وَرَأَيْتُ

(١) سنن ابن ماجه: فضل أبي ذر، (١٥٢).

(٢) حاشية السندي علي ابن ماجه: ١ / ١٤١.

(٣) فيض القدير: ٥ / ٥٤٠.

(٤) دحية: رئيس الجند.

(٥) صحيح البخاري: كيف نزل الوحي وأول ما نزل، (٤٥٩٧).

جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهَا دَحِيَّةَ^(١) (٢).

وذلك : لأنه كان جميلاً وذا وقار .

فَخَصَّ النَّبِيَّ ﷺ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْكِبَارِ بِفَضِيلَةٍ وَوَصَفَهُ بِهَا ، فَأَشْمَرَ بِقَدْرِ
رَأَيْدٍ فِيهَا عَلَى غَيْرِهِ^(٣) .

فإذا كنت مُسْتَنَ فَاسْتِن .

(١) دحية الكلبي بن خليفة بن فروة بن فضالة: الكلبي القضاعي. صاحب النبي ﷺ، ورسوله بكتابه إلى عظيم بصرى ليوصله إلى هرقل. روي أحاديث. أسلم دحية قبل بدر ولم يشهدا. وكان يشبه بجبريل. بقى إلي زمن معاوية. وكان أجمل الصحابة الموجودين بالمدينة (سير أعلام النبلاء : ٥٥٤/٢).

(٢) صحيح مسلم: الإسراء برسول الله، (٢٤٤).

(٣) الفتح: ٤٤ / ١١ .

ثامنا : خبيثة^(١) من عمل صالح

ومن كانت له خصوبة في ذلك : بلال بن رباح ، وكانت خصيبته بشرى رسول الله له بأنه يسمع دف نعليه في الجنة :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ لِبَلَالٍ عِنْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ : « يَا بَلَالُ ، حَدِّثْنِي بِأَرْجِي عَمَلٍ عَمَلْتُهُ فِي الْإِسْلَامِ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ » قَالَ : مَا عَمَلْتُ عَمَلًا أَرْجِي عِنْدِي أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طَهُورًا فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطَّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ ^(٢) .

قال ابن حجر - رحمه الله : في الحديث فوائد :

- فيه الحث على الصلاة عقب الوضوء لئلا يبقى الوضوء خاليا عن مقصوده .
- فيه أن الله يعظم المجازاة على ما يستزده العبد من عمله .
- وفيه سؤال الصالحين عما يهديهم الله إليه من الأعمال الصالحة ليقتدي بها غيرهم في ذلك .
- وفيه أيضا سؤال الشيخ عن عمل تلميذه ليحضره عليه ويرغبه فيه إن كان حسنا ، وإلا فينهاه .
- وفيه منقبة عظيمة لبلال .

(١) الخبيء : المدخر المستور .

(٢) صحيح البخاري : فضل الطهور بالليل والنهار ، (١٠٨١) .

١٢٠ **كيف تكون لك خصوصية عند الله؟**

- وَفِي الْحَدِيثِ اسْتِحْبَابُ إِدَامَةِ الطَّهَارَةِ وَمُنَاسَبَةِ الْمَجَازَاةِ عَلَى ذَلِكَ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ؛ لِأَنَّ مَنْ لَازِمَ الدَّوَامِ عَلَى الطَّهَارَةِ أَنْ يَبِيَّتَ الْمَرْءُ طَاهِرًا، وَمَنْ بَاتَ طَاهِرًا عَرَجَتْ رُوحُهُ فَسَجَدَتْ تَحْتَ الْعَرْشِ^(١).

وقال المهلب: فيه دليل أن الله يعظم المجازاة على ما ستر العبد بينه وبين ربه مما لا يطلع عليه أحد، ولذلك استحب العلماء أن يكون بين العبد وبين ربه خبيثة عمل من الطاعة يدخرها لنفسه عند ربه، ويدل أنها كانت خبيثة بين بلال وبين ربه أن النبي ﷺ لم يعرفها حتي سأله عنها، وفي سؤال النبي عن ذلك دليل على سؤال الصالحين عما يهديهم الله إليه من الأعمال المقتدى بهم فيها، ويمثل رجاء بركتها^(٢).

وعن ابن عمر، عن النبي ﷺ - وذكر حديث الغار، وقال في آخره: فقال رسول الله ﷺ: «من استطاع منكم أن تكون له خبيثة من عمل صالح فليفعل»^(٣).

وعن الخريبي - رحمه الله - قال: كانوا يستحبون أن يكون للرجل خبيثة من عمل صالح لا تعلم به زوجته ولا غيرها^(٤).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ فَتَعَجَّلْ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ

(١) فتح الباري: ٤/ ١٣٩.

(٢) شرح ابن بطال: ٥/ ١٥٧.

(٣) مستند الشهاب القضاعي: من استطاع منكم أن تكون له خبيثة من عمل صالح فليفعل، (٤١٤). والزهد لأبي داود (١١٢)، والزهد لأحمد بن حنبل، (٧٨٦)، والزهد والرقائق لابن

المبارك، (١٠٩٨) عن الزبير.

(٤) تهذيب الكمال: ٦٧٨.

سَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا^(١).

وَعَنْ عُمَانَ بْنِ عَفَانَ رضي الله عنه ، قَالَ : لَقَدْ اخْتَبَأْتُ^(٢) عِنْدَ رَبِّي عَشْرًا ، إِنِّي لَرَابِعُ أَرْبَعَةَ فِي الْإِسْلَامِ ، وَمَا تَعَنَيْتُ ، وَلَا تَكَيْتُ ، وَلَا وَضَعْتُ يَمِينِي عَلَى فَرْجِي ، مُنْذُ بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، وَمَا مَرَّتْ عَلَيَّ جُمُعَةٌ مُنْذُ أَسْلَمْتُ إِلَّا وَأَنَا أَعْتَقُ فِيهَا رَقَبَةً ، إِلَّا أَنْ لَا يَكُونَ عِنْدِي فَأَعْتَقَهَا بَعْدَ ذَلِكَ ، وَلَا زَنَيْتُ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ^(٣).

فماذا اختبأت عند ربك يا أخي ؟

لقد ادخر عثمان بن عفان رضي الله عنه عند الله ما ذكره .

وادخر البخاري صحيحه ، أصح كتاب بعد كتاب الله .

وادخر مسلم صحيحه وغيره .

وادخر ابن حجر شرحه للبخاري وغيره من المصنفات .

وادخر النووي ما وفقه الله من شرح لمسلم وغيره من المصنفات .

وادخر مالك الموطأ ومذهبه وغيره .

وادخر أبي حنيفة مذهبه وغيره .

وادخر الشافعي كتاب الأم ومذهبه وغيره .

وادخر أحمد بن حنبل مسنده ، ومذهبه ، وموقفه العظيم في خلق القرآن .

وادخر غيرهم الكثير والكثير ...

(١) صحيح البخاري : باب اخْتِبَاءِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم دَعْوَةَ الشَّفَاعَةِ لِأُمَّتِهِ ، (٢٩٦) .

(٢) أي : اذخرتها وجعلتها عنده لي خبيثة ، النهاية : ٤ / ٢ .

(٣) المعجم الكبير للطبراني : ١ / ٥٢ .

وفي العصر الحديث :

ادخر الشيخ حسن البنا جماعته (الإخوان المسلمون) التي شملت معظم المعمورة ، والأمة تعقد آمالها عليها .

وادخر الشيخ أحمد ياسين حركة حماس والتي هي غصة في حلق المشروع الصهيوني الأمريكي .

وادخر غيرهم الكثير والكثير... والأمر ليس استقصاء وإحصاء ولكن إشارات ، وعلامات .

وادخر الكثير من المؤمنين حب الصالحين ، والمجاهدين وعونهم والدعاء لهم .

فماذا ادخرت وخبأت عند ربك ؟

تاسعا : الإتقان

تقن : أتقن الشيء : أحكمه، وإتقانه : إحكامه، والإتقان : الإحكام للأشياء، ورجل تقن وتقن : مُتقِنٌ للأشياء حاذقٌ، يقال : أتقن فلانُ عمله : إذا أحكمه^(١).

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله ﷻ يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه »^(٢).

فعلى العامل « أن يعمل بما علمه الله عمل إتقان وإحسان بقصد نفع خلق الله الذي استعمله في ذلك ، ولا يعمل على نية أنه إن لم يعمل ضاع ولا على مقدار الأجرة ، بل على حسب إتقان ما تقتضيه الصنعة ، كما ذكر أن صانعاً عمل عملاً تجاوز فيه ودفعه لصاحبه فلم ينم ليلته كراهة أن يظهر من عمله عملاً غير متقن فشرع في عمل بدله حتى أتقن ما تعطيه الصنعة ثم غدا به لصاحبه فأخذ الأول وأعطاه الثاني فشكره فقال : لم أعمل لأجلك بل قضاء لحق الصنعة كراهة أن يظهر من عملي عمل غير متقن ، فمتى قصر الصانع في العمل لنقص الأجرة فقد كفر ما علمه الله ، وربما سلب الإتقان»^(٣).

(١) لسان العرب : ٧٢ / ١٣ .

(٢) المعجم الأوسط للطبراني ، (٩٠٩) ، وقال الألباني : صحيح في « السلسلة الصحيحة » ٣ / ١٠٦ .

(٣) فيض القدير : ٣٦٣ / ٢ .

ومن المتقين في قراءة القرآن :

أبي بن كعب ، وعبد الله بن مسعود ، رضي الله عنهما .

* وناهيك عن أمر الله ﷺ رسوله ﷺ أن يقرأ عليه : فعن أنس بن مالك
 ﷺ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي : « إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ : ﴿ لَوْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ
 أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ » قَالَ : وَسَمَّانِي ! قَالَ : « نَعَمْ » فَبَكَى .

قوله : « قَالَ : وَسَمَّانِي ؟ » : أَي هَلْ نَصَّ عَلَيَّ بِاسْمِي ، أَوْ قَالَ : اقْرَأْ عَلَيَّ
 وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِكَ فَأَخَّرْتَنِي أَنْتَ ؟ فَلَمَّا قَالَ لَهُ : « نَعَمْ » بَكَى إِمَّا فَرَحًا
 وَسُرُورًا بِذَلِكَ ، وَإِمَّا خُشُوعًا وَخَوْفًا مِنَ التَّقْصِيرِ فِي شُكْرِ تِلْكَ النُّعْمَةِ .

وَفِي رِوَايَةٍ لِلطَّبْرَانِيِّ مِنْ وَجْهِ آخَرَ عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ قَالَ : « نَعَمْ بِاسْمِكَ
 وَنَسَبِكَ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى » .

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ : تَعَجَّبَ أَبِي مِنْ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّ تَسْمِيَةَ اللَّهِ لَهُ وَنَصَّهُ
 عَلَيْهِ لِيَقْرَأَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ تَشْرِيفَ عَظِيمٍ ، فَلِذَلِكَ بَكَى إِمَّا فَرَحًا وَإِمَّا خُشُوعًا .

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : الْمُرَادُ بِالْعَرْضِ عَلَى أَبِي لِيَتَعَلَّمَ أَبِي مِنْهُ الْقِرَاءَةَ وَيَتَّبِعَتْ
 فِيهَا ، وَلِيَكُونَ عَرْضَ الْقُرْآنِ سُنَّةً ، وَلِلتَّنْبِيهِ عَلَى فَضِيلَةِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ وَتَقَدُّمِهِ فِي
 حِفْظِ الْقُرْآنِ ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنْ يَسْتَذْكَرَ مِنْهُ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا بِذَلِكَ الْعَرْضِ .

وَيُؤَخَذُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ : مَشْرُوعِيَّةُ التَّوَاضُّعِ فِي أَخْذِ الْإِنْسَانِ الْعِلْمَ مِنْ
 أَهْلِهِ وَإِنْ كَانَ دُونَهُ .

قال النووي - رحمه الله : وفي الحديث فوائد كثيرة :

كيف تكون لك خصوصية عند الله ؟ ١٢٥

مِنْهَا : اسْتِحْبَابِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ عَلَى الْخُذَّاقِ فِيهِ وَأَهْلِ الْعِلْمِ بِهِ وَالْفَضْلِ ،
وَإِنْ كَانَ الْقَارِئُ أَفْضَلَ مِنَ الْمَقْرُوءِ عَلَيْهِ .

وَمِنْهَا : الْمُنْقَبَةِ الشَّرِيفَةِ لِأَبِي بَقْرَاءَةَ النَّبِيِّ ﷺ وَلَا يُعْلَمُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ
شَارِكُهُ فِي هَذَا .

وَمِنْهَا : مُنْقَبَةٌ أُخْرَى لَهُ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ ، وَنَصَّهِ عَلَيْهِ فِي هَذِهِ الْمُنْزِلَةِ
الرَّفِيعَةِ .

وَمِنْهَا : الْبُكَاءُ لِلشُّرُورِ وَالْفَرَحُ مِمَّا يُبَشِّرُ الْإِنْسَانَ بِهِ وَيُعْطَاهُ مِنْ مَعَالَى
الْأُمُورِ .

فتفرد ﷺ بقراءة النبي ﷺ عليه نظراً لإتقانه القراءة ولم يشاركه فيها أحد.

* وهذا عبد الله بن مسعود أول من جهر بالقرآن بمكة :

وأثنى الرسول ﷺ على قراءته وحث أصحابه أن يقرؤوا على قراءته : فعَنْ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ : أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ بَشَّرَاهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ أَحَبَّ
أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أُنزِلَ فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ ^(١) . أي : طرياً من
غير تغير من لحن وغيره .

وعن عروة بن الزبير قال : كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله ﷺ
بمكة عبد الله بن مسعود .

قال : اجتمع يوماً أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا : والله ما سمعت قريش
بهذا القرآن يجهر لها به قط ، فمن رجل يسمعه ؟

(١) سنن ابن ماجه : فضل عبد الله بن مسعود ، (١٣٥) .

فقال عبد الله بن مسعود: أنا .

قالوا: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه.

فقال: دعوني فإن الله سيمنعني .

قال: فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى وقريش في أُنديتها حتى

قام عند المقام ثم قال: ﷺ - رافعاً بها صوته: ﴿الرَّحْمَنُ ۝ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝ (٤)﴾ (١).

قال: ثم استقبلها يقرأ فيها .

قال: وتأملوا وجعلوا يقولون: ما يقول ابن أم عبد؟ ثم قالوا: إنه ليتلو

بعض ما جاء به محمد، فقاموا إليه فجعلوا يضربون في وجهه، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ، ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا بوجهه، فقالوا: هذا الذي خشينا عليك.

قال: « ما كان أعداء الله أهون على منهم اليوم، لئن شتمت لأغادينهم غداً بمثلها» .

قالوا: لا، حسبك فقد أسمعتهم ما يكرهون (٢).

فانظر إلى هذا التميز وهذا التفرد، وكيف وظَّف إتقانه في معركة

المسلمين مع الباطل، ورفع للحق راية بالرغم من ضعف بنيتة، و صلف و بطش أعدائه.

(١) الرحمن: ١-٤ .

(٢) تاريخ الطبري: ٧٣ / ٢ .

ومن المتقنين في الحديث :

أَبُو هُرَيْرَةَ الدَّوْسِيُّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ صَخْرٍ .

قال عنه الإمام الذهبي : الإِمَامُ، الفَقِيهَةُ، المَجْتَهِدُ، الحَافِظُ، صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَبُو هُرَيْرَةَ الدَّوْسِيُّ، اليَمَانِيُّ، سَيِّدُ الحِفَاطِ الأَثَبَاتِ (١).

ومن أعلى درجات الإتقان: جمع القرآن :

وقد برز فيها زيد بن ثابت ؓ ، حيث يحكي عن مهمة جمع القرآن ودوره فيها وشعوره عند التكليف بها فيقول :

بَعَثَ إِلَى أَبُو بَكْرٍ لِمَقْتَلِ أَهْلِ النِّيَامَةِ وَعِنْدَهُ عُمَرُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي فَقَالَ: إِنَّ القَتْلَ قَدْ اسْتَحَرَّ يَوْمَ النِّيَامَةِ بِقُرْآنِ القُرْآنِ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ القَتْلَ بِقُرْآنِ القُرْآنِ فِي المَوَاطِنِ كُلِّهَا فَيَذْهَبَ قُرْآنٌ كَثِيرٌ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْمُرَ بِجَمْعِ القُرْآنِ .

قُلْتُ : كَيْفَ أَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟ فَقَالَ عُمَرُ: هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يَرَا جُعْنِي فِي ذَلِكَ حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرَ عُمَرَ، وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الَّذِي رَأَى عُمَرُ .

قَالَ زَيْدٌ : قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَإِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ لَا تَنْهَمُكَ، قَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَتَّبِعُ القُرْآنَ فَاجْمَعُهُ .

قَالَ زَيْدٌ: فَوَاللَّهِ لَوْ كَلَّفَنِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنْ الجِبَالِ مَا كَانَ بِأَثْقَلِ عَلَيَّ مِمَّا كَلَّفَنِي

(١) سير أعلام النبلاء: ٢ / ٥٧٨ .

مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ، قُلْتُ: كَيْفَ تَفْعَلَانِ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ فَلَمْ يَزَلْ يَحُثُّ مُرَاجِعَتِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ اللَّهُ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الَّذِي رَأَيْتُ

فَتَبِعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعُ مِنَ الْعُسْبِ وَالرَّقَاعِ وَاللِّخَافِ وَصُدُورِ الرِّجَالِ فَوَجَدْتُ فِي آخِرِ سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ إِلَى آخِرِهَا مَعَ حُزِيمَةَ أَوْ أَبِي حُزِيمَةَ، فَأَلْحَقْتُهَا فِي سُورَتِهَا، وَكَانَتْ الصُّحُفُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَيَاتُهُ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتُهُ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ^(١).

قال ابن حجر - رحمه الله : ذَكَرَ لَهُ أَرْبَعُ صِفَاتٍ مُّقْتَضِيَةٌ خُصُوصِيَّتَهُ بِذَلِكَ:

- ١- كَوْنُهُ سَابِقًا، فَيَكُونُ أُنْشَطَ لِمَا يُطَلَّبُ مِنْهُ .
 - ٢- وَكَوْنُهُ عَاقِلًا، فَيَكُونُ أَوْعَى لَهُ .
 - ٣- وَكَوْنُهُ لَا يُتَّهَمُ، فَتَرَكَّنَ النَّفْسَ إِلَيْهِ .
 - ٤- وَكَوْنُهُ كَانَ يَكْتُبُ الْوَحْيَ، فَيَكُونُ أَكْثَرَ مُمَارَسَةً لَهُ .
- وَهَذِهِ الصِّفَاتُ الَّتِي اجْتَمَعَتْ لَهُ قَدْ تَوَجَّدَ فِي غَيْرِهِ لَكِنْ مُفَرَّقَةً^(٢).

الأسس التي وضعت لإتقان جمع القرآن :

- ١- لا يكتب شيء إلا بعد التحقق من أنه قرآن .
- ٢- لا يكتب شيء إلا بعد العلم بأنه استقر في العرصة الأخيرة .
- ٣- لا يكتب شيء إلا بعد التأكد أنه لم يُنسخ لفظه .

(١) صحيح البخاري : يستحب للكاتب أن يكون أميناً عاقلاً، (٦٦٥٤).

(٢) فتح الباري: ١٤ / ١٩٣ .

- ٤- لا يكتب شيء إلا بعد عرضه على جمع من الصحابة .
- ٥- إذا اختلفوا في شيء من القرآن كتبوه بلغة قريش .
- ٦- المحافظة على القراءات المتواترة ولا تكتب قراءة غير متواترة .
- ٧- اللفظ الذي لا يختلف فيه وجوه القراءات يرسم بصورة واحدة .
- ٨- اللفظ الذي يختلف فيه وجوه القراءات ويمكن رسمه في الخط محتملاً لها كلها يكتب برسم واحد مثل : ﴿إِنْ جَاءَكَ فَاسِقُ بَنِي فَتَيَّنُوا﴾^(١) ، بدون نقط، يمكن أن تقرأ أيضاً (فتبتوا) .
- ٩- اللفظ الذي يختلف فيه وجوه القراءات ولا يمكن رسمه في الخط محتملاً لها يكتب في نسخة برسم يوافق بعض الوجوه وفي نسخة أخرى برسم يوافق الوجه الآخر . مثل ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾^(٢) ، وفي نسخة أخرى : (وأوصى إبراهيم بنيه ويعقوب) . ما يمكن تكتب : وصى وأوصى برسم واحد .
- وبهذا المنهج الدقيق والأسس السليمة كتب المصحف العثماني في غاية الدقة والضبط والتحري والإتقان، وصدرت الأمة عنه .

ومن أعلى درجات الإتقان : جمع الحديث الصحيح :

وهذه الخصيصة قام بها الإمام البخاري . وعن هذا المشروع المتفرد قال :
كُنْتُ عِنْدَ إِسْحَاقَ بْنِ رَاهُوَيْهَ، فَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا: لَوْ جَمَعْتُمْ كِتَابَنَا

(١) الحجرات : ٦ .

(٢) البقرة : ١٣٢ .

١٣٠ **كيف تكون لك خصوصية عند الله ؟**
مختصراً السنن النبوي ﷺ ، فوقع ذلك في قلبي ، فأخذت في جمع هذا الكتاب^(١) .

وعن منهجه في إتقان هذا المشروع العظيم قال :

١- ما وضعت في كتابي «الصحيح» حديثاً إلا اغتسلت قبل ذلك ،
وَصَلَّيْتُ رُكْعَتَيْنِ^(٢) .

٢- ما أدخلت في هذا الكتاب إلا ما صحَّ ، وتركت من الصحاح كي لا
يطول الكتاب^(٣) .

٣- عن محمد بن يوسف البخاري ، قال : كُنْتُ مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بِمَنْزِلِهِ
ذَاتَ لَيْلَةٍ ، فَأَحْصَيْتُ عَلَيْهِ أَنَّهُ قَامَ وَأَسْرَجَ يَسْتَذَكُرُ أَشْيَاءَ يُعَلِّقُهَا فِي لَيْلَةٍ لِمَا نِي
عَشْرَةَ مَرَّةً^(٤) .

٤- قال البخاري : صَنَفْتُ (الصحيح) فِي سِتِّ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَجَعَلْتُهُ حُجَّةً
فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى .

٥- وكان البخاري - رحمه الله - يلتزم في إخراج أحاديث الطبقة الأولى ،
وقد ينزل للثانية عن الراوي ، ثم اشترط أنه لا بد أن يكون الراوي ثبت سماعه
من الراوي الذي قبله ولو مرة .

٦- وقال البخاري : صَنَفْتُ جَمِيعَ كُتُبِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، يَرَاغِبُهَا ، وَيَنْقُحُهَا .

٧- وَقَالَ : أَخْرَجْتُ هَذَا الْكِتَابَ مِنْ زُهَاءِ سِتْمِائَةِ أَلْفِ حَدِيثٍ^(٥) .

فانظر إلى هذا المنهج المتقن ، الذي تفرد به البخاري ، لذلك كان أصح

(١) سير أعلام النبلاء : ١٢ / ٤٠١ .

(٢) طبقات السبكي : ٢ / ٢٢١ .

(٣) تهذيب الكمال : ١١٧٠ .

(٤) سير أعلام النبلاء : ١٢ / ٤٠٢ .

ومن الإتقان في الحياة : مشروع السد الذي بناه الحاكم الصالح (ذو القرنين)

قال تعالى : ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿١٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿١٦﴾ فَمَا اسْتَطَعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُمْ نَقْبًا ﴿١٧﴾ ۝ ۱﴾ .

فهذا السد قد بناه ذو القرنين من الحديد والنحاس وساوى به الجبال الصم الشاخات الطوال، فلا يعرف على وجه الأرض بناء أجل منه ولا أنفع للخلق منه في أمر دنياهم. فلو قيل: ما هو أنفع بنيان في العالم؟، فهو سد ذي القرنين، لأنه لو لم يكن موجودًا لخرجوا على الناس وأفسدوا الدنيا.

قال ابن كثير - رحمه الله : «وقد بعث الخليفة النواثق في دولته بعض أمراءه، ووجه معه جيشًا سرية، لينظروا إلى السد ويعاينوه وينعتوه له إذا رجعوا. فتوصلوا من بلاد إلى بلاد، ومن مُلك إلى مُلك، حتى وصلوا إليه، ورأوا بناءه من الحديد ومن النحاس، وذكروا أنهم رأوا فيه بابًا عظيمًا، وعليه أقفال عظيمة، ورأوا بقية اللبن والعمل في برج هناك. وأن عنده حرسًا من المملوك المتاخمة له، وأنه منيف عال، شاق، لا يستطيع ولا ما حوله من الجبال. ثم رجعوا إلى بلادهم، وكانت غيبتهم أكثر من ستين، وشاهدوا أهوالا

والإتقان الذي نعنيه هنا : ليس متعلقاً بالأمور الشرعية فقط ، ولكن كل عمل يصلح للبشرية ، ويصلحها ، ويساعد في عمارة الأرض على منهج الله .

عاشراً : العمل الدؤوب

دأب: الدال والهمزة والباء أصلٌ واحد يدلُّ على ملازَمةٍ ودوام ، ودأب الرَّجُلُ في عمله : إذا جَدَّ^(١).

دأب : الدَّأْبُ العادةُ والملازَمةُ ، ودأبَ فلانٌ في عَمَلِهِ ، أي : جَدَّ وتَعَبَ ، والدُّؤُوبُ : المبالَغةُ في السَّيرِ^(٢).

وقال الراغب : دأب : الدأب : إدامة السير^(٣).

دأب في القرآن والسنة :

وقد وردت دأب في عدة مواضع في القرآن، منها :

قال تعالى :

﴿ كَذَّابِ مَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾^(٤).

﴿ كَذَّابِ مَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾^(٥).

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ٢٦٤ / ١ .

(٢) لسان العرب : ٣٦٨ / ١ .

(٣) غريب القرآن : ١٧٤ .

(٤) آل عمران : ١١ .

(٥) الأنفال : ٥٢ .

﴿ كَذَابٍ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۗ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ ۗ وَكُلُّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ (١)

﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ ۗ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ ﴾ (٢)

﴿ مَثَلُ دَأَبٍ قَوْمٍ يُورَثُونَ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلْمًا لِلْعِبَادِ ﴾ (٣)

وقد وردت في السنة النبوية: في حديث قصة أصحاب الغار الثلاثة الذين توسلوا إلى الله بصالح أعمالهم :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ: عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «بَيْنَمَا ثَلَاثَةٌ نَفِرَ يَتَمَشُّونَ أَخَذَهُمُ الْمَطَرُ فَأَوْوَأُوا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَأَنْحَطَّتْ عَلَى فَمِّ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنْ الْجَبَلِ فَأَنْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انظُرُوا أَعْمَالَ أَعْمَلْتُمُوهَا صَالِحَةً لِلَّهِ فَادْعُوا اللَّهَ تَعَالَى بِهَا لَعَلَّ اللَّهَ يَفْرُجُهَا عَنْكُمْ.

فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَأَمْرَاتِي، وَوَلِي صِيبَةٌ صِغَارٌ أَرْعَى عَلَيْهِمْ، فَإِذَا أَرَحْتُ عَلَيْهِمْ حَلَبْتُ فَبَدَأْتُ بِوَالِدِي فَسَقَيْتُهُمَا قَبْلَ بَنِي، وَآنَهُ نَأَى بِي ذَاتَ يَوْمِ الشَّجَرِ فَلَمْ آتِ حَتَّى أَمْسَيْتُ فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا، فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ، فَجِئْتُ بِالْحِلَابِ فَقُمْتُ عِنْدَ رُؤُوسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا، وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْقِيَ الصَّيْبَةَ قَبْلَهُمَا وَالصَّيْبَةُ يَتَضَاغُونَ عِنْدَ قَدَمِي، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأَبِي وَدَأَبِهِمْ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ فَأَفْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً، تَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ فَفَرَجَ اللَّهُ مِنْهَا فُرْجَةً

(١) الأنفال: ٥٤ .

(٢) يوسف: ٤٧ .

(٣) غافر: ٣١ .

فَرَأَوْا مِنْهَا السَّمَاءَ...»^(١).

أي : فلم تزل حالته ملازمة والديه حتى طلع الفجر .

ومن التعريفات السابقة يتبين لنا أربعة شروط ليكون العمل دُؤوبًا:

١- الملازمة .

٢- الدوام .

٣- الجِد .

٤- التعب .

أمر الله ﷻ نبيه ﷺ بالعمل الدؤوب :

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴾^(٢) . أي : فادأب في العمل^(٣) .

ومعنى النصب : الدؤوب في العمل مع التعب^(٤) .

وتحققت هذه الخصيصة في الأنبياء والرسل جميعًا - عليهم السلام .

نوح عليه السلام نموذج للعمل الدؤوب :

قال تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ

يَزِدَّهُمْ دُعَاؤِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُصْغُرَهُمْ فِي إِذَانِهِمْ

(١) صحيح مسلم: قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال، (٤٩٢٦).

(٢) الشرح: ٧.

(٣) زاد المسير: ١٧١ / ٦.

(٤) تفسير الرازي: ٤٧٧ / ٦.

وَأَسْتَعِشُوا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَأَسْتَكْبِرُوا أَسْتَكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِمْرًا ﴿٩﴾ (١)

والمعنى : أنه دعاهم على وجوه متخالفة ، وأساليب متفاوتة ، فلم ينجع ذلك فيهم (١) .

وهذه الآيات تصوّر :

١ - الجهد الدائب الذي لا ينقطع ، الذي بذله نوح عليه السلام وهو لا يمل ولا يفتر ولا ييأس أمام الإعراض والإصرار ، بل واصل الليل بالنهار . فماذا بقي له من وقت للراحة ؟

٢ - إصرار الداعية على الدعوة وتحين كل فرصة ليبلغهم إياها ؛ وإصرارهم هم على الضلال .

٣ - اتباع نوح عليه السلام كل الأساليب ، فجهر بالدعوة تارة ، ثم زاوج بين الإعلان والإسرار تارة ، وفي أثناء ذلك كله أطمعهم في خير الدنيا والآخرة ، وأطمعهم في الغفران إذا استغفروا ربهم ، فهو سبحانه غفار للذنوب ، وأطمعهم في الرزق الوفير الميسور أسبابه التي يعرفونها ويرجونها وهي المطر الغزير ، الذي تنبت به الزروع ، وتسيل به الأنهار ، كما وعدهم برزقهم الآخر من الذرية التي يحبونها وهي البنين ، والأموال التي يطلبونها ويعزونها .

وكانت خصيسته عند الله ، بعد هذا العمل الدؤوب : أن الناس كلهم من ذريته .

والصحابة رضوان الله عليهم قاموا بالعمل الدؤوب والذي كانت ثمرته

(١) نوح : ٥-٩ .

(٢) تفسير فتح القدير : ٧ / ٣١٢ .

سلمان الفارسي نموذج للعمل الدؤوب :

قال عنه الإمام الذهبي - رحمه الله : هُوَ سَلْمَانُ ابْنُ الْإِسْلَامِ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْفَارِسِيُّ، سَابِقُ الْفُرْسِ إِلَى الْإِسْلَامِ. صَحِبَ النَّبِيَّ ﷺ وَخَدَمَهُ، وَحَدَّثَ عَنْهُ^(١). وهو أحد من اشتاقت الجنة إليه، وأدرك العلم الأول والآخر، وقرأ الكتاب الأول والآخر.

ولندعه يحدثنا عن قصة العمل الدؤوب الذي قام به ليصل إلى الهداية :

قَالَ: كُنْتُ رَجُلًا فَارِسِيًّا مِنْ أَهْلِ أَصْبَهَانَ، مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ مِنْهَا، يُقَالُ لَهَا: جَبِي^(٢)، وَكَانَ أَبِي دِهْقَانًا، وَكُنْتُ أَحَبَّ خَلْقِ اللَّهِ إِلَيْهِ، فَلَمَّ يَزَلْ بِي حُبُّهُ إِيَّايَ حَتَّى حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ كَمَا تُحْبَسُ الْجَارِيَةُ.

فَاجْتَهَدْتُ فِي الْمَجُوسِيَّةِ، حَتَّى كُنْتُ قَاطِنَ النَّارِ الَّذِي يُوقَدُهَا، لَا يَتْرُكُهَا تَحْبُو سَاعَةً. وَكَانَتْ لِأبي صَبِغَةٌ عَظِيمَةٌ، فَشُغِلَ فِي بُيَانٍ لَهُ يَوْمًا، فَقَالَ لِي: يَا بَنِيَّ، إِنِّي قَدْ شُغِلْتُ فِي بُيَانِي هَذَا الْيَوْمَ عَنْ صَبِغَتِي، فَادْهَبْ، فَاطْلِعْهَا.

وَأَمَرَنِي بِبَعْضِ مَا يُرِيدُ، فَخَرَجْتُ، ثُمَّ قَالَ: لَا تَحْتَسِبْ عَلَيَّ، فَإِنَّكَ إِنْ احْتَبَسْتَ عَلَيَّ كُنْتُ أَهَمَّ إِلَيَّ مِنْ صَبِغَتِي، وَشُغِلْتَنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِي.

فَخَرَجْتُ أُرِيدُ صَبِغَتَهُ، فَمَرَرْتُ بِكَنِيسَةٍ مِنْ كَنَائِسِ النَّصَارَى، فَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ فِيهَا وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَكُنْتُ لَا أَدْرِي مَا أَمْرُ النَّاسِ بِحَبْسِ أَبِي إِيَّايَ فِي

(١) سير أعلام النبلاء / ١ / ٥٥٥ .

(٢) بالفتح وبالتشديد، مدينة ناحية أصبهان القديمة « معجم البلدان » ٢ / ٢٠٢ .

فَلَمَّا مَرَزْتُ بِهِمْ، وَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ، دَخَلْتُ إِلَيْهِمْ أَنْظَرُ مَا يَصْنَعُونَ.
فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ، أَعْجَبْتَنِي صَلَوَاتِهِمْ، وَرَغِبْتُ فِي أَمْرِهِمْ، وَقُلْتُ: هَذَا - وَاللَّهِ -
خَيْرٌ مِنَ الدِّينِ الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ.

فَوَاللَّهِ مَا تَرَكْتُهُمْ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَتَرَكْتُ ضَيْعَةَ أَبِي، وَلَمْ آتِهَا.
فَقُلْتُ لَهُمْ: أَيْنَ أَصْلُ هَذَا الدِّينِ؟

قَالُوا: بِالشَّامِ.

قَالَ: ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى أَبِي، وَقَدْ بَعَثَ فِي طَلْبِي، وَسَغَلْتُهُ عَنْ عَمَلِهِ كُلِّهِ.
فَلَمَّا حِثُّتُهُ، قَالَ: أَيُّ بَنِيٍّ، أَيْنَ كُنْتَ؟ أَلَمْ أَكُنْ عَاهَدْتُ إِلَيْكَ مَا عَاهَدْتُ؟
قُلْتُ: يَا أَبَتِي، مَرَزْتُ بِنَاسٍ يُصَلُّونَ فِي كَنِيْسَةٍ لَهُمْ، فَأَعْجَبَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ
دِينِهِمْ، فَوَاللَّهِ مَا زِلْتُ عِنْدَهُمْ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ.

قَالَ: أَيُّ بَنِيٍّ، لَيْسَ فِي ذَلِكَ الدِّينِ خَيْرٌ، دِينُكَ وَدِينُ آبَائِكَ خَيْرٌ مِنْهُ.
قُلْتُ: كَلَّا - وَاللَّهِ - ! إِنَّهُ لَخَيْرٌ مِنْ دِينِنَا.

قَالَ: فَخَافَنِي، فَجَعَلَ فِي رِجْلِي قَيْدًا، ثُمَّ حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ.

قَالَ: وَبَعَثْتُ إِلَى النَّصَارَى، فَقُلْتُ:

إِذَا قَدِمَ عَلَيْكُمْ رَكْبٌ مِنَ الشَّامِ، تُجَارُّ مِنَ النَّصَارَى، فَأَخْبِرُونِي بِهِمْ.

فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ رَكْبٌ مِنَ الشَّامِ.

قَالَ: فَأَخْبِرُونِي بِهِمْ.

فَقُلْتُ: إِذَا قَضَوْا حَوَائِجَهُمْ، وَأَرَادُوا الرَّجْعَةَ، فَأَخْبِرُونِي.

قَالَ: فَفَعَلُوا، فَأَلْقَيْتُ الْحَدِيدَ مِنْ رِجْلِي، ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ الشَّامَ.

فَلَمَّا قَدِمْتُهَا، قُلْتُ: مَنْ أَفْضَلُ أَهْلِ هَذَا الدِّينِ؟
قَالُوا: الْأُسْقُفُ فِي الْكَنِيسَةِ.

فَجِئْتُهُ، فَقُلْتُ: إِنِّي قَدْ رَغِبْتُ فِي هَذَا الدِّينِ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ،
أَخْدِمُكَ

فِي كَنِيسَتِكَ، وَأَتَعَلَّمَ مِنْكَ، وَأَصْلِي مَعَكَ.
قَالَ: فَادْخُلْ.

فَدَخَلْتُ مَعَهُ، فَكَانَ رَجُلٌ سُوءٍ، يَأْمُرُهُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَيُرَغِّبُهُمْ فِيهَا، فَإِذَا
جَمَعُوا إِلَيْهِ مِنْهَا شَيْئًا، اكَتَنَزَهُ لِنَفْسِهِ، وَلَمْ يُعْطِ الْمَسَاكِينَ، حَتَّى جَمَعَ سَبْعَ
فِلَالٍ مِنْ ذَهَبٍ وَوَرَقٍ، فَأَبْغَضْتُهُ بَغْضًا شَدِيدًا لِمَا رَأَيْتُهُ يَصْنَعُ.
ثُمَّ مَاتَ، فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ النَّصَارَى لِيَدْفِنُوهُ.

فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنَّ هَذَا رَجُلٌ سُوءٍ، يَأْمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَيُرَغِّبُكُمْ فِيهَا، فَإِذَا
جِئْتُمْ بِهَا كَتَنَزَهَا لِنَفْسِهِ، وَلَمْ يُعْطِ الْمَسَاكِينَ.

وَأَرَيْتُهُمْ مَوْضِعَ كَنْزِهِ سَبْعَ فِلَالٍ مَمْلُوءَةٍ، فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا: وَاللَّهِ لَا نَدْفِنُهُ
أَبَدًا.

فَصَلَبُوهُ، ثُمَّ رَمَوْهُ بِالْحِجَارَةِ، ثُمَّ جَاؤُوا بِرَجُلٍ جَعَلُوهُ مَكَانَهُ، فَلَمَّا رَأَيْتُ
رَجُلًا - يَعْنِي لَا يُصَلِّي الْحَمْسَ - أَرَى أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْهُ، أَزْهَدَ فِي الدُّنْيَا، وَلَا
أُرْغَبَ فِي الْآخِرَةِ، وَلَا أَدَابَ لَيْلًا وَنَهَارًا، مَا أَعْلَمَنِي أَحْبَبْتُ شَيْئًا قَطُّ قَبْلَهُ
حُبًّا، فَلَمْ أَزَلْ مَعَهُ حَتَّى حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ.

١٤٠ **كيف تكون لك خصوصية عند الله؟**

فَقُلْتُ: يَا فُلَانُ، قَدْ حَضَرَكَ مَا تَرَى مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، وَإِنِّي - وَاللَّهِ - مَا أَحْبَبْتُ شَيْئًا قَطُّ حُبِّكَ، فَمَاذَا تَأْمُرُنِي؟ وَإِلَى مَنْ تُوصِينِي؟

قَالَ لِي: يَا بُنَيَّ، وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا رَجُلًا بِالْمَوْصِلِ، فَأَتَيْتُهُ، فَإِنَّكَ سَتَجِدُهُ عَلَى مِثْلِ حَالِي.

فَلَمَّا مَاتَ وَغَيَّبَ، لِحَقَّتْ بِالْمَوْصِلِ، فَأَتَيْتُ صَاحِبَهَا، فَوَجَدْتُهُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ مِنَ الاجْتِهَادِ وَالرُّهْدِ.

فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ فُلَانًا أَوْصَانِي إِلَيْكَ أَنْ آتِيكَ، وَأَكُونَ مَعَكَ.

قَالَ: فَأَقِم، أَيُّ بُنَيَّ.

فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ عَلَى مِثْلِ أَمْرِ صَاحِبِهِ، حَتَّى حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ.

فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ فُلَانًا أَوْصَى بِي إِلَيْكَ، وَقَدْ حَضَرَكَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا تَرَى، فإِلَى مَنْ تُوصِي بِي؟ وَمَا تَأْمُرُنِي بِهِ؟

قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ - أَيُّ بُنَيَّ - إِلَّا رَجُلًا بِنَصِيحِينَ.

فَلَمَّا دَفَنَاهُ، لِحَقَّتْ بِالْآخِرِ، فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِمْ، حَتَّى حَضَرَهُ الْمَوْتُ، فَأَوْصَى بِي إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ عُمُورِيَّةَ بِالرُّومِ، فَأَتَيْتُهُ، فَوَجَدْتُهُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِمْ، وَاکْتَسَبْتُ حَتَّى كَانَ لِي غَنِيمَةٌ وَبَقِيرَاتٌ.

ثُمَّ اخْتَضَرَ، فَكَلِمَتُهُ إِلَى مَنْ يُوصِي بِي؟

قَالَ: أَيُّ بُنَيَّ، وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُهُ بَقِيَ أَحَدٌ عَلَى مِثْلِ مَا كُنَّا عَلَيْهِ أَمْرًا أَنْ تَأْتِيَهُ، وَلَكِنْ قَدْ أَظْلَمَ زَمَانُ نَبِيِّ يُبْعَثُ مِنَ الْحَرَمِ، مُهَاجِرُهُ بَيْنَ حَرَّتَيْنِ إِلَى أَرْضٍ سَبَخَةِ ذَاتِ نَخْلِ، وَإِنَّ فِيهِ عِلَامَاتٍ لَا تَخْفَى: بَيْنَ كَفَيْهِ حَاتِمُ النَّبُوءَةِ، يَأْكُلُ الْهَدِيَّةَ، وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَخْلُصَ إِلَى تِلْكَ الْبِلَادِ، فَافْعَلْ، فَإِنَّهُ

قَدْ أَظْلَكَ زَمَانُهُ.

فَلِمَا وَارِنَاهُ، أَقَمْتُ حَتَّى مَرَّ بِي رِجَالٌ مِنْ تِجَارِ الْعَرَبِ مِنْ كَلْبِ.

فَقُلْتُ لَهُمْ: تَحْمِلُونِي إِلَى أَرْضِ الْعَرَبِ، وَأَعْطِيكُمْ غَنِيمَتِي وَبَقَرَاتِي هَذِهِ؟

قَالُوا: نَعَمْ.

فَأَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا، وَحَمَلُونِي، حَتَّى إِذَا جَاؤُوا بِي وَادِي الْقَرَى ظَلَمُونِي، فَبَاعُونِي عَبْدًا مِنْ رَجُلٍ يَهُودِي بِوَادِي الْقَرَى، فَوَاللهَ لَقَدْ رَأَيْتُ النَّخْلَ، وَطَمِعْتُ أَنْ يَكُونَ الْبَلَدُ الَّذِي نَعَتَ لِي صَاحِبِي.

وَمَا حَقَّتْ عِنْدِي حَتَّى قَدِمَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ، فَاِبْتَاعَنِي مِنْ صَاحِبِي، فَخَرَجَ بِي حَتَّى قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، فَوَاللهَ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُهَا، فَعَرَفْتُ نَعْتَهَا.

فَأَقَمْتُ فِي رِقِّي، وَبَعَثَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ بِمَكَّةَ، لَا يُذَكِّرُ لِي شَيْءٌ مِنْ أَمْرِهِ، مَعَ مَا أَنَا فِيهِ مِنَ الرُّقِّ، حَتَّى قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قُبَاءَ، وَأَنَا أَعْمَلُ لِصَاحِبِي فِي نَخْلَةٍ لَهُ، فَوَاللهَ إِنِّي لَفِيهَا إِذْ جَاءَهُ ابْنُ عَمِّ لَهُ، فَقَالَ:

يَا فُلَانُ، قَاتَلَ اللهُ بَنِي قَيْلَةَ، وَاللهُ إِنَّهُمْ الْآنَ لَفِي قُبَاءَ مُجْتَمِعُونَ عَلَى رَجُلٍ جَاءَ مِنْ مَكَّةَ، يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَبِيٌّ.

فَوَاللهَ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ سَمِعْتُهَا، فَأَخَذْتَنِي الْعُرَوَاءُ - يَقُولُ: الرَّعْدَةُ - حَتَّى ظَنَنْتُ لَأَسْقُطَنَّ عَلَى صَاحِبِي، وَنَزَلْتُ أَقُولُ: مَا هَذَا الْحَبْرُ؟

فَرَفَعَ مَوْلَايَ يَدَهُ، فَلَكَمَنِي لِكَمَةٍ شَدِيدَةٍ، وَقَالَ:

مَا لَكَ وَهَذَا، أَقْبِلْ عَلَى عَمَلِكَ.

فَقُلْتُ: لَا شَيْءَ، إِنَّمَا سَمِعْتُ خَبْرًا، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَعْلَمَهُ.

فَلِمَا أُمْسِيْتُ، وَكَانَ عِنْدِي شَيْءٌ مِنْ طَعَامٍ، فَحَمَلْتُهُ وَذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ

كيف تكون لك خصوصية عند الله؟

فَقُلْتُ لَهُ: بَلَّغْنِي أَنَّكَ رَجُلٌ صَالِحٌ، وَأَنَّ مَعَكَ أَصْحَابًا لَكَ غُرَبَاءَ، وَقَدْ كَانَ عِنْدِي شَيْءٌ مِنْ الصَّدَقَةِ، فَرَأَيْتُكُمْ أَحَقَّ مَنْ يَهْدِيهِ الْبِلَادِ، فَهَآكَ هَذَا، فَكُلْ مِنْهُ.

قَالَ: فَأَمْسَكَ، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: «كُلُوا».

فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هَذِهِ خَلَّةٌ مِمَّا وَصَفَ لِي صَاحِبِي.

ثُمَّ رَجَعْتُ، وَتَحَوَّلَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَجَمَعْتُ شَيْئًا كَانَ عِنْدِي، ثُمَّ جِئْتُهُ بِهِ، فَقُلْتُ:

إِنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ لَا تَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، وَهَذِهِ هَدِيَّةٌ.

فَأَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَكَلَ أَصْحَابُهُ.

فَقُلْتُ: هَذِهِ خَلَّتَانِ.

ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَتَّبِعُ جِنَازَةَ، وَعَلَى شِمْلَتَانِ لِي، وَهُوَ فِي أَصْحَابِهِ، فَاسْتَدْرْتُ أَنْظُرَ إِلَى ظَهْرِهِ، هَلْ أَرَى الْخَاتَمَ الَّذِي وَصَفَ؟

فَلَمَّا رَأَيْتُ اسْتَدْبَرْتُهُ، عَرَفَ أَنِّي اسْتَشَيْتُ فِي شَيْءٍ وَوَصَفَ لِي، فَأَلْفَى رِذَاءَهُ عَنْ ظَهْرِهِ، فَانْظَرْتُ إِلَى الْخَاتَمِ، فَعَرَفْتُهُ، فَاكْتَبَيْتُ عَلَيْهِ أُقْبَلُهُ وَأَبْكِي.

فَقَالَ لِي: تَحَوَّلْ. فَتَحَوَّلْتُ^(١).

فانظر كيف دأب هذا الصحابي الجليل في طلب الهداية، فبلغه الله أعلى المراتب: من صحبة النبي ﷺ وشوق الجنة إليه، وتحققت في قصته شروط

(١) رجاله ثقات وإسناده قوي فقد صرح ابن إسحاق بالتحديث عند أحمد وابن هشام وابن سعد، وأخرجه أحمد ٥ / ٤٤١ - ٤٤٤.

كيف تكون لك خصوصية عند الله ؟ ١٤٣

العمل الدؤوب من (الملازمة- الدوام -الجد -التعب) ،وقد شرفه الله
بالثناء عليه من المؤمنين ، وبقيت قصته مخلدة باسم (الباحث عن الحقيقة) ؛
لتكون عبرة لمن أراد أن يُغَيَّرَ من نفسه إلى الأفضل والأحسن ، وتكون له
خصوصية عند الله .

خاتمة

الحمد لله الذي وفقنا في عرض هذا البحث وجمع مادته، وأسأله سبحانه وتعالى أن يتقبله منا قبولاً حسناً، إنه نعم المولى ونعم النصير .

وقد جمعنا في هذا البحث الطريق إلى التفرد في العمل الدعوي ، وكيف تكون لك خصوصية عند الله؟

وهذا ليس استقصاء للصفات بقدر ما هو وقوف عند الأهم منها ، وهي صفات قد تتفرق في أفراد جماعة مجتمعة على العمل لدين الله ، فبتعاونهم وإعطاء كل فرد متفرد في صفة فرصة لإبراز تفرده وخصيسته ، وصارت هذه الجماعة على منهج النبي ﷺ ؛ لتفردت في العمل الدعوي ، وتحقق بها إعلاء راية الله في الأرض ، وجددت ما اندرس من منهج النبوة ، وقادت العالم بمنهج الله وتحقق للأمة الرفعة والثناء .

وما عرضناه في هذا البحث يجب أن يتحقق في صاحب الرسالة وحاملها إلى البشرية جمعاء .

نسأل الله أن نكون ممن تفردوا ، وسعوا إلى التفرد في العمل الدعوي ، كما أسأله أن يَمُن علينا بفضلِهِ بخصيصة تفرد .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات



- فهرس المصادر والمراجع .

- فهرس الموضوعات .

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

- ١- أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت و المدرسة و المجتمع: عبد الرحمن النحلاوي دار المجتمع .
- ٢- التحرير و التنوير : محمد بن الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر- تونس ، ط : «بدون» ١٩٨٤ م .
- ٣- تفسير البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان ، دار الفكر- بيروت ، لبنان ، ط: الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م .
- ٤- تفسير الرازي ، المسمى «التفسير الكبير و مفاتيح الغيب» : الفخر الرازي محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن على الرازي ، دار الفكر للطباعة و النشر ط : الأولى .
- ٥- تفسير السعدي ، المسمى «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ط : الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م .
- ٦- تفسير الطبري ، المسمى «جامع البيان في تأويل القرآن» : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط : الأولى ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢ م .

- ١٥٠ **كيف تكون لك خصوصية عند الله؟**
- ٧- تفسير القرآن العظيم : الإمام الحافظ عماد الدين ، أبو الفداء ،
إسماعيل بن كثير القرشي ، مكتبة العبيكان ، الرياض - السعودية ، ط : الأولى ،
١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .
- ٨- تفسير القرطبي ، المسمى « الجامع لأحكام القرآن » : أبو عبد
السلام محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، دار الكتاب العربي ، تحقيق : عبد
الرزاق المهدي ، بيروت - لبنان ، ط : « بدون » ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م .
- ٩- تفسير الماوردي : المسمى (النكت والعيون) ، أبو الحسن بن محمد
الماوردي ، راجعه وعلق عليه : السيد عبد المقصود عبد الرحيم ، دار الكتب
العلمية ؛ ١٤١٢ = ١٩٩٢ م .
- ١٠ - تليس إبليس : ابن الجوزي ، تحقيق : السيد الجميلي ، دار الكتاب
العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- ١١ - جامع العلوم والحكم بشرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم : ابن
رجب الحنبلي ، المحقق : ماهر ياسين فحل .
- ١٢ - الخليفة الأموي الراشد عمر بن عبد العزيز : خالد البيطار ، مكتبة
المنار .
- ١٣ - زاد المسير في علوم التفسير : الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن علي
بن محمد الجوزي ، المكتب الإسلامي .
- ١٤ - سنن ابن ماجه : الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن
ماجه ، المكتبة العلمية بيروت - لبنان ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .
- ١٥ - سنن أبي داود : الإمام أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني
الأزدي ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، بدون تاريخ .

كيف تكون لك خصوصية عند الله ؟ ١٥١

١٦- سنن الترمذي : أبو عيسى محمد بن عيسى ، مصطفى الحلبي ،
تحقيق: أحمد شاكر ، ط : الثانية ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

١٧- سنن النسائي : أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي ، تحقيق :
عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب ، ط : الثانية ،
١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

١٨- صحيح ابن حبان : الحافظ محمد بن حبان بن أحمد بن حبان ،
تحقيق: كمال يوسف الحوت ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الأمير :
علاء الدين الفارسي ، ط : الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

١٩- صحيح البخاري : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، دار
الكتب الحديثة ، عيسى الحلبي ، «بدون تاريخ» .

٢٠- صحيح الترغيب والترهيب : محمد ناصر الدين الألباني ، ط :
الخامسة ، مكتبة المعارف - الرياض .

٢١- صحيح الجامع الصغير: محمد ناصر الدين الألباني ، ط : الثالثة ،
١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .

٢٢- صحيح مسلم : أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري
النيسابوري ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية .

٢٣- عون المعبود شرح سنن أبي داود : أبو محمد شمس الحق العظيم
أبادي ، دار الفكر ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

٢٤- فتح الباري : ابن حجر العسقلاني ، تصحيح وتعقيب : عبد العزيز
ابن باز ، دار الفكر ، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م .

٢٥- فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير :
محمد بن علي محمد الشوكاني، دار الخير، بيروت ، الطبعة الأولى ،
١٤١٢هـ- ١٩٩١م .

٢٦- في ظلال القرآن : سيد قطب ، دار العلم للطباعة و النشر ، جدة -
السعودية ، ط : الثانية عشرة ، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م .

٢٧- فيض القدير شرح الجامع الصغير : عبد الرؤوف المناوي ،
المكتبة التجارية الكبرى - مصر ، ط : الأولى ، ١٣٥٦هـ .

٢٨- القاموس المحيط : الفيروزآبادي ، الناشر : مؤسسة الرسالة ،
بيروت - لبنان .

٢٩- لسان العرب : ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم
ابن منظور ، دار صادر ، بيروت - لبنان ، ط : الأولى ١٣٠٠هـ .

٣٠- مجموع الفتاوى : ابن تيمية ، جمع : عبد الرحمن بن قاسم ، ط :
الأولى ، السعودية .

٣١- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين : المؤلف :
محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، الناشر : دار الكتاب العربي -
بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٣ - ١٩٧٣ : تحقيق : محمد حامد الفقي .

٣٢- مدخل إلى التربية الإسلامية : عبد الرحمن بن حجر الغامدي ،
الرياض : دار الخريجي للنشر والتوزيع .

٣٣- المستدرك على الصحيحين : الحاكم الإمام الحافظ ، أبو عبد الله
الحاكم النيسابوري ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان .

كيف تكون لك خصوصية عند الله؟ ١٥٣

٣٤- المعجم الكبير: الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم - الموصل، ط: الثانية، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م.

٣٥- معجم مقاييس اللغة: أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا: تحقيق: عبد السلام هارون، ط: الثانية، ١٩٩٦ م.

٣٦- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار الكتب العلمية - بيروت.

٣٧- مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني، تحقيق عدنان داوودي، دار القلم - دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

٣٨- نظرية التربية الإسلامية للفرد والمجتمع: الشيخ محمد الغزالي، ضمن بحوث ندوة خبراء أسس التربية الإسلامية المنعقدة بجامعة أم القرى في مكة المكرمة خلال الفترة من ١١ - ١٦ جمادى الثاني ١٤٠٠ هـ. مكة المكرمة: جامعة أم القرى، مركز البحوث التربوية والنفسية.

٣٩- النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، وحمود محمد الطناجي، المكتبة العلمية، بيروت - لبنان.